

شرح

نواقض الإسلام

للإمام المجدد

محمد بن عبد الوهاب النجدي

المتوفى سنة (1206هـ) رحمه الله

تأليف: أحمد بن محمد بن ناصر التام

شرح نواقض الإسلام

تأليف: أحمد بن محمد بن ناصر التام

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الحقوق محفوظة للمؤلف

MAHADSUNNAH.COM

<http://sarhaan.com>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، أحمده وأشكره على جزيل الفضل
ووافر الإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا في
ربوبيته ولا ألوهيته ولا اسمائه وصفاته العظام، وأشهد أن محمدًا
عبده ورسوله سيد الأنام، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه
الكرام، وسلم تسليمًا شذاه يفوح كعطر المسك والخزام.

ثم أما بعد:

فلقد كتب الله لمؤلفات الإمام العلامة الكبير، والداعية المجاهد
المجتهد النحرير، شيخ الإسلام والمسلمين: محمد بن عبد الوهاب
بن سليمان التميمي النجدي -رحمه الله- الذبوع والانتشار،
فطارت كل مطار؛ وتلقاها الناس من دعاة الحق والتوحيد والسنة
بالترحيب والقبول، فمن حافظ لها وقارئ، وشارح لها ومدرس؛
وكم من واضع لحاشية عليها وتعليقات، ومن ناظم لها

ومختصر، ومكمل لها ومنتصر، وذاب عنها ومدافع، {ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم}¹.

ومن هذه الكتب: هذا المتن المختصر النافع، متن "نواقض الإسلام"، الذي قد يكون في ورقة واحدة، ولكن منفعة كبيرة، وفوائده جمة، فهو عمدة في بابه، ومفتاح لغيره.

ومما يُميّز مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي -رحمه الله-: أنها سهلة الأسلوب، قريبة المأخذ، مختصرة اللفظ، قائمة على الدليل، ومعانيها كافية، ومقاصدها وافية، فيها تلخيص لما طال وبُسط، وتقريب لما تناثر وبُعد؛ ولعل بقاء هذا الذكر الجميل لها ول مؤلفها تركيزه على دعوة الأنبياء والرسل -صلوات الله وسلامه عليهم-، دعوة التوحيد والسنة؛ فأحيا الله به أمة، وأقام به دولة، ونشر على يديه الخير الكثير في شتى بقاع المعمورة، وحُورب الشرك والباطل، والبدعة والخرافة، وهذه ثمرات عظيمة لا ينكرها إلا من أعمى الله بصره وبصيرته.

¹ سورة الحديد الآية <21>.

[من بحر البسيط]

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمـدٍ

وينكر الفم طعم الماء من سقم.

فمحاسن مؤلفات الشيخ الإمام العلامة الهمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - كثيرة، فقد سدت أبوابًا كانت شاغرة، ووفت بالمراد في مواطن مهمة، كانت الناس في أمس الحاجة لمثلها؛ مع أجود تعبير، وأسهل تأليف، وأدق معنى، وأرشق عبارة؛ أليس "كتاب التوحيد" عمدة بابه، ومرجع طلابه؛ أليس "فضل الإسلام" درة شامخة، وجوهرة فريدة؛ أليس "ثلاثة الأصول وأدلتها" حاجة الناس إليها ماسة أشد من حاجتهم للطعام والشراب، ونفع هذه الرسالة وصل إلى كل طالب علم شرعي؛ أليس "مسائل الجاهلية" تنبيه عن عالم مجتهد كبير، وداعية محقق نحير؛ أليس هذه الرسالة "نواقض الإسلام" على صغر حجمها، قاعدة في الباب، ومنطلق لتأصيل الطلاب؛ أليس "كشف

الشبهات في التوحيد" ابتكار متقن، وترتيب حسن، وكلام منظم،
ونقد محكم.

وكل تلخيصاته وتحبيراته ممتعة، يدري بقيمتها من يدري
بقيمة وأهمية وعظمة دعوة التوحيد والسنة، والله الهادي إلى
سواء السبيل.

هذا؛ ولا تنظر للمشاعبين الذين ابتلاهم الله بالوقوف في
طريق الحق ومعاندته، والصد عنه ومنافرته، بل ومضادته
ومحاربته، إذ قالوا -زورًا وبُهتانًا، وظلمًا وعدوانًا- في نقد هذا
المتن المبارك:

**1-ابتدع التأليف في هذا المقام، وأين الدليل على أن نواقض
الإسلام عشرة؟**

والجواب على هذا القول من عدة أوجه:

الوجه الأول: ابتكاره للتأليف في هذا الباب والمقام شرفٌ له،
ومنقبة لا مثلية.

الوجه الثاني: كثير من أهل العلم من نظر إلى باب في الاعتقاد أو في الفقه أو في الحديث، فصنع فيه بحث مبتكر، ودبج فيه بيراغته فوائد كالدرر، فعُد ذلك من حسن التأليف، وجمال التصنيف، فلماذا هنا كان صنيع الشيخ الإمام المجدد -رحمه الله- بدعة؟!

الوجه الثالث: الشيخ الإمام المجدد ذكر كل ناقض بدليله، وأحياناً مع التمثيل كالناقض الأول والثاني والرابع والسابع والعاشر، وهو يقصد بذلك فيما يظهر تسهيل حفظها، ومراجعتها كأصول مع الأدلة؛ لأن الحجة في الكتاب والسنة.

مع أن هذه المسائل كلها مأخوذة من كتاب الإمام الحجاوي -رحمه الله- "الإقناع"، مجردة عن الدليل؛ فزاد أدلتها، وسبكها وحبكها بطريقة سهلة ممتنعة، تدل على تمكنٍ وعلو رتبة.

الوجه الرابع: لم يقل الشيخ الإمام -رحمه الله- هذه كل نواقض الإسلام، وأسباب الردة، وموجبات الكفر!.

بل في أول المتن قال: (اعلم أن من نواقض الإسلام)، وفي آخره قال: (فإنها من أعظم ما تكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا)، فكرر -رحمه الله- (من) التبعية في أول المتن وآخره؛ ويأتي المشاغبون الذين في أنفسهم هوى وحظوظ نفس، ويقولون: من قال: إن هذه نواقض الإسلام قبله؛ هذه بدعة ابتدعها!

والشيخ الإمام المجدد -رحمه الله- كما تقدم إنما لخصها من كتاب حكم المرتد في "الإقناع"، وهي هناك تزيد على أربعمئة سبب للردة؛ وكان ذلك خاصةً عندما تعصب وكذب عليه أهل الأهواء والباطل، أسلاف القوم هم، كابن سحيم وغيره، ثم لما كانت لله جعل الله لها البقاء، وإلا فكم من فوائد لُخصت وهُذبت ولم يبقَ لها أثر وزهبت أدراج الرياح.

وصدق الله إذ يقول في محكم كتابه:

{أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله} ².

² سورة النساء الآية <54>.

وأحسن من قال: [من بحر الطويل]

أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ مِنْ اللَّوْمِ أَوْ سَدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا.

وقد يقول قائل: في بعض نسخ النواقض لا يوجد لفظة (من)، قلنا: المحققون لهذا المتن على أكثر النسخ الخطية أثبتوها، والمثبت مقدم على النافي.

الوجه الخامس: أن هذا المتن على صغر حجمه، وتأخر زمان مؤلفه، فشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- توفي سنة (1206هـ)، أي ما يزيد على مئتين سنة لليوم، ومع هذا شروحاته كثيرة جداً، المطبوعة والمخطوطة، فضلاً عن الشروحات الصوتية التي قد تسجل أو لا تُسجل، فضلاً عن حفظ الطلبة له، ومذاكرتهم مسائله، مع شهرته التي طبقت الآفاق؛ مع أن مؤلفه كما تقدم لم يأت بجديد من عنده، بل هي أصول لأسباب الردة يذكرها فقهاء المذاهب في كتبهم، وتتفرع منها مسائل كثيرة جداً، ولا يحصل لهم تشغيب، وليس عليهم تثريب.

وأما الإمام العلامة المجدد فسهامهم موجهة إليه! لا لتأليفاته فحسب، بل لحقدهم على الدعوة التي دعى إليها، وهي دعوة التوحيد والسنة، دعوة الأنبياء والمرسلين، وأثرها المبارك النافع، وطعنهم فيها وفي حملتها، ولمزهم ونبزهم؛ ووالله ما ضرهم ذلك، بل زادهم قوةً وتماسكًا، وبصيرةً وثباتًا.

2- وقالوا: هذه مسائل من مسائل الفقه وليست بمسائل عقديّة، ولا بد من تدريسها على يد فقيه متمكن.

والجواب على هذا القول من عدة أوجه:

الوجه الأول: نعم؛ هي مسائل مذكورة في كتب الفروع في المذاهب الأربعة، وهي باب حكم المرتد، وكلها متفق عليها إلا الناقض السابع وهو السحر مع أن أكثر أنواعه متفقون عليه، وإنما وقع الخلاف في بعض تراكيب خواص المواد والشعوذة مما ليس فيه استعانة ونداء ودعاء لغير الله؛ وهي مأخوذة تلخيصًا من كتاب **"الإقناع"** للإمام الحجاوي³، والحجاوي -

³ انظر: الإقناع لطالب الانتفاع (297/4-300).

رحمه الله- لخص أكثرها من "**الصارم المسلول**" لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ومن بعض كتبه الأخرى؛ ثم ليس كل ما في كتب الفروع الفقهية مسائل فقه مجردة! وخاصة المبسوط منها؛ فتجد مسائل تكون عقدية ومسائل من السيرة ومسائل من الحديث ومسائل من اللغة ومسائل من الحساب ومسائل من الجبر، لترابط العلوم بعضها ببعض؛ وتجد في كتب الحديث المبسوط مسائل عقدية، ومسائل فقهية، ومسائل أصولية؛ وتجد في كتب الأصول مسائل لغوية، ومسائل منطقية، ومسائل كلامية، ومسائل فلسفية، وهكذا في بقية العلوم والفنون.

الوجه الثاني: ذكر الفقهاء لها في كتب الفروع في باب حكم المرتد، إنما هو من باب بيان حكمها وما يترتب عليها، لا ذاتها أصلاً فهي مسائل عقدية متفق عليها، وليست من مسائل الأحكام، فتنبه.

فتجد الفقهاء يقولون: من سب الله أو رسوله أو دينه؛ كفر.

فمسألة سب الله ورسوله ودين الإسلام من العقائد لا من الفقه، ولكن حكم فعلها حكم فقهي بلا شك في ذلك.

الوجه الثالث: الغالب على العلماء أنهم فقهاء ومحدثين وأصوليين ولغويين، وهذا مشاهد في الغالب من أهل العلم المعاصرين؛ وأيضًا مسائل الاعتقاد تُدرس قبل الفقه؛ فمن المؤكد أن هؤلاء الفقهاء في الفروع المذهبية قد درسوا الاعتقاد وغيره، فشرحهم مبني على تأصيل وتقعيد؛ وأكاد أجزم أن المتصدر عند أهل السنة لتدريس كتب العقيدة لا يقدم على ذلك إلا بعد هضم لها وفهم عميق، ودراسة متأنية وإمام تام، إذ أهل السنة من أبعد الناس في الغالب عن التصدر والإقدام على ما لم يعلموا، ففيهم -فيما نحسبهم والله حسيبهم ولا نزكي على الله أحدًا- تقوى ومراقبة وورع تعصمهم من ذلك.

بل هم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: أهل السنة يتبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ولا يكفرون من خالفهم فيه، بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق، كما وصف الله به المسلمين بقوله: **{كنتم خير أمة**

أخرجت للناس⁴، قال أبو هريرة: كنتم خير الناس للناس؛ وأهل

السنة نقاوة المسلمين، فهم خير الناس للناس⁵. ١.٥ هـ

ومع هذا لو وجد من يُعلم بعض إخوانه كتب العقيدة والتوحيد وخصوصًا المبتدئين منهم، وليس عنده علوم آلة مكتملة، فهذا لا يُعد عيبًا، إذ الغالب عليه هنا أنه سوف يقتصر على معلوماته ولن يزيد، ويحصل خير كثير بحيث يكون الطلاب عندهم إمام، وبداية نتف علمية، وفوائد ثمينة، يتأصلون على ضوئها فيما بعد؛ ثم هب أنه أخطأ فقد يخطئ المؤلف والشارح وصاحب الحاشية والجماعة من الناس، ليس هناك عصمة من الخطأ، فلا يُلام من وقع منه، فالله قد تجاوز عن هذه الأمة في باب الخطأ، وخصوصًا من الذين لهم صلة بالعلم والطلب والهمة في تحصيله، فهؤلاء قد نُحسن الظن بهم، ونلتمس لهم جميل العذر، بأن نتأول كلامهم ونحمله على أحسن المحامل، فالبعض منهم في سلك الاجتهاد؛ ومن هو دونهم فلن يقدم -كما تقدم-، بل سيقلد

⁴ سورة آل عمران الآية <110>.

⁵ منهاج السنة النبوية (158/5).

عن معرفة بتقليده، أو عن جهل بسيط لا مركب، وينسب القول لقائله وتبرأ ذمته.

ومهما كانت منزلته العلمية فمدارسته مع إخوانه كتب العقيدة والتوحيد والسنة دلالة وحجة على حسن نية وصفاء مشرب، ولن يضيع الله سبحانه من وحده وعبدته وأخلص له، بل الظن في الله أن يوفقه ويسدده.

الوجه الرابع: ما المانع من تلخيص باب من أبواب العلم حاجة الناس إليه ماسة؟ لا سيما وهو متعلق بالتحذير من الشرك الذي هو مضادة التوحيد، ومن يجعل صاحبه إذا مات عليه في نار جهنم خالدًا مخلدًا أبد الأباد، وتحرم عليه الجنة تحريمًا أبدًا.

ألم تر أن العلماء قد افردوا كتبًا وأبوابًا مستقلة من بعض العلوم، وجعلوها بذاتها علومًا وفنونًا مستقلة، مع أن أهميتها مهما بلغت لا ترقى لأهمية التوحيد والإيمان، فما الضير في ذلك؟ وما هو الغريب والمستنكر؟!

أليس علم مخارج الحروف من أبواب علم التجويد؟ أليس علم الوضع مباحث ونتف من علم متن اللغة وبعض مباحث المنطق والأصول والبيان؟ أليس علم الضرورة مباحث ماثثة في كتب القواميس والمعاجم، والنحو والشعر والعروض؟ أليس علم المواريث كتابًا مستقلاً من كتب الفروع الفقهية؟ أليس علم المقولات مبحث مستقل من مباحث الحكمة؟

مع أن الشيخ العلامة المجتهد الإمام -رحمه الله- لم يقل بأن "نواقض الإسلام" علم مستقل بذاته؛ وأجزم أنه ما خطر حتى بباله! فمحاكمته على هذا الوهم ضرب من الخيال.

ولم يقل كذلك هذه العشرة هي نواقض الإسلام فقط! وليس غيرها ثم ناقض؛ وإنما كما تقدم لخص الأهم والأخطر، والذي وقوعه بين الناس في زمنه وبعده أكثر فأكثر.

ثم إن العلماء -قديمًا وحديثًا- كما تقدم، ينظرون لموضوع معيّن في العقيدة أو في الفقه أو في الحديث أو في اللغة فيكتبون فيه بخصوصه، ويوسعون القول فيه؛ لأن التأليف استقلالًا

يستحق التوسع والبسط، بخلاف ما لو كان في علم متين، فإن الاختصار والاقتصار: مدعاة لنشره، وتداوله وبقائه؛ ويشهد بهذا الحال والتجربة.

فروية الإمام المجدد شيخ الإسلام -رحمه الله- ثاقبة، ونيته -فيما نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً- صادقة، فلقد جعل الله له في الآخرين من الموحدين ودّاء، وأعلى له شأنًا، وأذاع له صيتًا، وأهم من هذا كله، أن جميع مؤلفاته ومختصراته ورسائله ذائعة سيّارة، نفعها المتعدي أجره إليه، ولا غرو أن يحسده الجهال الأصاغر، وأهل الجدل والتنافر، فقد قيل: الشجرة المثمرة تُرمى بالحجارة.

ونقول كما قال الإمام الشافعي: [من مخرج البسيط]

أعرض عن الجاهل السفیه فكلُّ ما قال فهو فيه
ما ضرَّ بحر الفُرات يوماً إن خاض بعض الكلاب فيه.

الوجه الخامس: الدين شيءٌ واحد، فكما يجب عليك تعلم المعتقد، يجب عليك تعلم الأحكام والمنهج والسلوك.

ولذا: فنحن ندرس كتب الفقه وندرس كتب العقيدة والتوحيد، بل هي عندنا أهم فهي الفقه الأكبر؛ ولأن أهل السنة ليس عندهم: أول ما يجب على المكلف النظر، فمن قلد في الاعتقاد فقد كفر.

وإنما: أول ما يجب على المكلف معرفته وتعلمه: هو معرفة ربه ورسوله ودين الإسلام بالأدلة، وأن يوحد الله في ربوبيته وألوهيته واسمائه وصفاته، وأن يخلص له في العمل ويعبد الله بما شرع، وأن يوالي أهل التوحيد والإيمان ويحبهم وينصرهم، وأن يخلع عبادة الأوثان وأهلها ومودتهم ويبغضهم ويبغضهم... إلخ، ما يعتقده أهل السنة والجماعة.

فلأجل هذا لا لوم علينا إن بدأنا بتعليم العقيدة والتوحيد لصغارنا قبل كبارنا؛ ولا لوم علينا -أيضاً- إن تتبعنا مسائل وأصول معتقدنا، فالمرء ينظر فيما فيه منفعة، وفلاحه وفوزه ونجاته.

إذ بربكم: هل تعلم العقيدة والتوحيد أولى أم علم الكلام؟ هل تعلم الفقه والحديث أولى أم علم الحكمة؟

على أني لست ممن يُزهد في أنواع العلوم والمعارف، بجميع فنونها ومباحثها، ولكن ما كان علم غاية لذاته، وبمعرفته أنجو وأفلح وأسعد، فلا شك ولا ريب أنه أولى وأهم من غيره مطلقاً.

والشيخ الإمام المجدد -رحمه الله- نظر بهذا المنظور العميق، فحذر الناس مما يقدح في إيمانهم قدحاً أكبر، فيخرجهم من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر؛ فنبههم عليه وأرشدهم إليه، لأن مع غلبة الجهل وشدة الغفلة، وانتشار علماء وفقهاء السوء، ومجاذيب القبور والأضرحة، تلتبس على العامة مثل هذه الأمور، ويختلط الغث بالسمين، والحابل بالنايل؛ ولا سبيل لمعرفة التوحيد والعقيدة والسنة إلا بالعلم والتعليم، فتتضح الدلائل والمعالم، وتنكشف الشبهات، وتزول التلبيسات؛ ولا يقتصر المتعلم والمستفيد على نفع نفسه فقط، بل عليه نفع إخوانه، فالله الله في نفع الناس، ونشر العلم بينهم، فزكاة العلم نشره، وأي ثمرة؟ وأي فائدة؟ أحسن من هداية الخلق، ونفعهم وإفادتهم في باب التوحيد، واحتساب الأجر على ذلك.

ولم أحث الناس على علم العقيدة والتوحيد وأزهدهم في غيرها من العلوم احتقاراً وانتقاصاً لها! بل لأن البدء بالأهم أولى وأهم. ومن كان طالب علم نشيط، ومجد في التحصيل والطلب، فدونه أنواع العلوم والمعارف وفنونها، فليضرب في كل علم بسهم، وليجني من كل فن ثمرة؛ ومن صلحت نيته، وصفت سيرته، ومنحه الله ذهنًا وقادًا، وذكاءً خارقًا، فالحفظ له يحوي، والفهم عنده يأوي؛ وله محبة ورغبة في العلم، مع حسن مأخذ، وجودة مسلك، فهذا قد فتح الله عليه؛ فما عليه إلا مواصلة السير، وسيرى -إن شاء الله- ما يسر فؤاده، ويثلج صدره، ويبهج خاطره.

أما سمعت الألبيري -رحمه الله- وهو يقول في نصيحته لولده:

[من بحر الوافر]

أبا بكرٍ دعوتك لو أجبتَا	إلى ما فيه حظُّك إن عقلتَا
إلى علمٍ تكون به إمامًا	مُطاعًا إن نهيت وإن أمرتَا
ويجلو ما بعينك من غشاها	ويهديك السبيل إذا ضللتَا

وتحمل منه في ناديك تاجًا	ويكسوك الجمال إذا اغتربتا
ينالك نفعه ما دمت حيًّا	ويبقى ذخره لك إن ذهبتا
هو العصبُ المهتدُّ ليس ينبو	تُصيبُ به مقاتل من ضربتا
وكنزٌ لا تخافُ عليه لصًّا	خفيف الحمل يوجد حيثُ كنَّا
يزيدُ بكثرة الإنفاقِ منه	وينقص إن به كفاً شددتا
فلو قد ذُقت من حلواه طعمًا	لآثرت التعلُّم واجتهدتا
ولم يشغلك عنه هوى مطاعٍ	ولا دُنيا بزُخرفها فُتِنَّا
ولا ألهاك عنه أنيقُ روضٍ	ولا خدرٌ بربربه كلفتا
فقوتُ الرُّوح أرواح المعاني	وليس بأن طعمتَ وأن شربتا
فواظبهُ وخذْ بالجدِّ فيه	فإن أعطاكهُ الله أخذتا
وإن أُوتيت فيه طولَ باعٍ	وقال الناس إنك قد سبقتا
فلا تأمن سؤال الله عنه	بتوبيخٍ علمت فهل عمِلتا
فراشُ العلم تقوى الله حقًّا	وليس بأن يُقال لقد رأستا

وضافي ثوبك الإحسانُ لا أن تُرى ثوب الإساءة قد لبستا
إذا ما لم يُفدك العلمُ خيرًا فخيرٌ منه أن لو قد جهلتنا
وإن ألقاك فهمك في مهاوٍ فليتك ثم ليتك ما فهمتا. ٦هـ
واسترسلت في نقل الأبيات لجمالها وفائدتها.

فالشيخ المؤلف -رحمه الله- أهتم بما فيه سلامة الناس،
والحفاظ على دينهم، الذي إذا سلم لهم فقد غنموا وافلحوا وسعدوا
وما فاتهم شيء، وإن خسروه فكل خسارة بعده هينة، وكل
مصاب دونه جلل.

فقل لي بربك -أيها القارئ الكريم- بعد هذا البيان، من أولى
بالحسنى والمنقبة والشرف؟ وليس بعد هذا من كلام.

الوجه السادس: في تسمية الشيخ -رحمه الله- لها بـ(نواقض
الإسلام) فيه مراعاة لجناح الإسلوب الاصطلاحي الفقهي؛ ففي
اصطلاح الفقهاء يسمون مفسدات الوضوء بـ(نواقض الوضوء).

⁶ منظومة الإلبيري (36-39).

كما أن لهذه التسمية مغزى أهم، إذ التوحيد أساس الطهارة المعنوية، والشرك أساس النجاسة المعنوية، قال تعالى: {يا أيها المدثر* قم فأندر* وربك فكبر* وثيابك فطهر* والرجز فاهجر}⁷؛ والطهارة المعنوية أهم من الطهارة الحسية، وهكذا النجاسة المعنوية والنجاسة الحسية؛ ولهذا روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إن المؤمن لا ينجس)⁸؛ وفي المقابل سمى الله المشركين نجس، قال سبحانه: {إنما المشركون نجس}⁹.

وفي هذا بيان أن التوحيد والإيمان طهر؛ وأن الشرك والكفر نجاسة.

فنواقض الوضوء ليست إلا حدث وتعيد تجديده؛ أما نواقض الإسلام فتخرجك من دائرة الإسلام إلى دائرة الشرك والكفر.

⁷ سورة المدثر الآيات <1-5>.

⁸ صحيح البخاري (285) كتاب الغسل، باب الجنب يخرج ويمشي في السوق وغيره.

⁹ سورة التوبة الآية <28>.

فشتان ما بين الثرى والثريا.

3- قالوا: أن تدريس مثل هذه المتون سبب من أسباب الغلو في التكفير والتفسيق والتبديع.

والجواب: أهل السنة -و الله الحمد- معروفون بتمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم -صلى الله عليه وسلم-، فهم وقافون مع الأدلة الشرعية، لا يلوون أذرع النصوص لهواهم، ولا يوجهون صريح اللفظ لمشتهاهم؛ بل ما ثبت عن الله وعن رسوله فالتسليم والقبول.

ولذا: فهم يرجون للمحسن ويخافون على المسيء، جمعًا بين نصوص الشرع في الرجاء والخوف، وما ذاك إلا رحمتهم بالخلق، وطمعًا في فضل الله وكرمه ورحمته، واستقامتهم على النهج المرضي في عدم القنوط واليأس من روح الله، والتماسهم العذر لعامة الأمة، وسلوكهم لمنهج {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتتي هي أحسن} ¹⁰.

¹⁰ سورة النحل الآية <125>.

فهم أبعد الناس عن الغلو والتنطع والتشدد، بل يذمون ذلك وينكرونه ويحذرون منه، لأن ما أهلك الأمم السابقة إلا الغلو، فهم من أبعد الناس عن التكفير والتفسيق والتبديع، لا يكفرون إلا من كفره الله ورسوله؛ فليسوا مفوضين في دين الله، يصدرون الأحكام جزافاً، ويرمونها على عباد الله أوصافاً، حاشاهم - حفظهم الله- من الغلو والتساهل، ومن الإفراط والتفريط، فعقيدتهم وسطية مرضية.

كيف يُرمون بأنهم إذا درسوا ما حذرهم الله من الوقوع فيه وارتكابه، يكونون مكفرين مفسقين؟ وكيف يُلزمون واللازم باطل من أصله فيبطل الملزوم، بأن دراستهم لمثل هذه المتون هي من جعلتهم يُكفرون ويُفسقون؟ إذ دراستك لأبحاث التكفير والنواقض وأحكام الردة دراسة شرعية وطلب علم، تزداد به بصيرة، ويعتبر عمل طيب، وجهد مبارك، لا العكس.

ولكن لما اختلت الموازين وتغيرت المفاهيم، رأينا الأبيض اليق سواداً حالك، والأخضر الناضر صفاراً فاقع، وصدق علينا قول القائل: [من بحر الطويل]

إذا عَيَّرَ الطائيُّ بالبخلِ مَادِرَّ

وعَيَّرَ قَسًا بالفهاهة باقِلُ

وقال السهى للشمس أنتِ كسيفةٌ

وقال الدُّجى للبدر وجهك حائل

فيا موت زُرْ إن الحياة ذميمةٌ

ويانفس جدي إن دهرك هازل.

إذ كيف تُرمى حين تدرس -كتب التوحيد والعقيدة- بأنك ما فعلت ذلك إلا لتكفر خلق الله؟! وتصدر أحكام التكفير والتفسيق عليهم؟! إنها مغالطات شنيعة، وتشغيبات قبيحة، وأهواء ونفوس مريضة.

يا هذا! إن أكثر من كتب في التحذير من الغلو والتشدد والتنطع، وإطلاق التكفير والتفسيق والتبديع بلوازم ضعيفة، غير منتهضة بها الدلائل والقرائن، هم أهل السنة والجماعة، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله؛ وعليك بالبحث عنه تجده في مواضعه،

إذ لو لم يطول بنا المقام لسردت من مؤلفاتهم وابحاثهم -قديمًا وحديثًا- في هذا الباب ما يبهر ألب مطالعه، ويجعله يعي حقيقة منهج السلف الصالح في التحذير من الغلو والتكفير.

ثم هب أن أحدهم غلا في باب التكفير، وفهم الأحكام الشرعية المترتبة على ذلك فهمًا خاطئًا، وتأول فكفر وفسق؛ فإن كان عن اجتهاد وأخطأ فيه فهو بين الأجرين، ولن يتابعه على ذلك مسلم، فضلًا عن عالم متقن، أو طالب علم متمكن.

فأهل السنة لا يتبعون إلا الدليل، ليس عندهم قداسة ولا عصمة لأحد كائنًا من كان، كل الناس معرضون للخطأ والزلل، فما ذنبهم في خطأ وقع من أحادهم، وغلو حصل من أفرادهم؛ إذ ليس هذا معتقدهم، ولا هو بمذهبهم، فكيف تحاكموهم إلى غير أصولهم.

ولعمري -ما رأيت كأهل السنة- رغم خبرتي لكثير من الطوائف والجماعات؛ قراءةً لآثارهم، وسماعًا لحديثهم.

إلا إنك تجد أهل السنة وقافون عند حدود الكتاب والسنة، وليس عندهم تشدد ولا غلو ولا تنطع، ولا تساهل ولا تمييع، بل هم الأمة العدل الوسط، عقيدةً ومنهجًا وعبادةً وسلوكًا واستقامة وورعًا.

فزادهم الله شرفًا، وأعلى لهم قدرًا، ومدهم بالتوفيق والتسديد، وحمل حوزتهم من أهل الشرك والتنديد، فهو المولى الحفيظ، والناصر المعين.

هذا؛ وقد اطلعت على جملة طيبة من شروحات هذا المتن، لعلماء أكابر، ومشايخ أفاضل، قدر خمسة أو ستة؛ فرأيت فيما وقفت عليه منها: كلُّ شرحٍ من تلك الشروح قد أتى بالغرض، وتم به المطلوب، ولعله أغفل جانب من الجوانب في الشرح، كونه ليس من مقاصده، أو رأى غيره أهم منه، أو لأنها شروح صوتية مُرتجلة، يغيب عن شريف ذهن العالم حينها بعض المسائل والمقاصد، ثم فُرغت هذه الشروح إلى كتب، وإن حُررت بعد ذلك يبقى الفرق واضح ما بين الإلقاء والارتجال، وما بين الكتابة والتحرير؛ مما شجعني على الإقدام بعد الإحجام،

على وضع هذا الشرح على ما فيه من ركافة اللفظ، وقصور العبارة، وقلة الفائدة.

فتوكلت على الله، وعزمت الأمر، بعد أن كنت قد رأيت جعله حاشية على شرح من الشروح المختصرة.

وهذا الشرح هو الثالث لكتب شيخ الإسلام الإمام المجدد - رحمه الله- التي عملت عليها، بعد رسالة "معنى الطاغوت" و"فضائل القرآن"، والنية عازمة -إن شاء الله- على وضع شرح مهذب على كتاب "الكبائر" له، -رحم الله مثواه، وبلى بوابل الرحمة ثراه-.

وسترى في شرحنا هذا: مع كوني استقيته واستفدته ممن سبقني وتقدمني؛ إذ الفضل فضلهم، والعلم علمهم؛ وما ترى فيه من فوائد بديعة، أونكات دقيقة، أوتنبيهات مفيدة؛ فهي قليلة نزرة، لا تسمن ولا تغني، فكاتبها أحقر من أن يُذكر، وأقل من أن يُعرف.

فجزاء الله علماء الدين خير الجزاء، وتقبل الله منا ومنهم صالح الأعمال، وتجاوز عنا وعنهم؛ فما نحن من معين نبعهم

نرتوي، وعلى منهجهم منهج الحق نسير ونستضي، هم أمان الله
لأهل الأرض، والذابين عن حياض العقيدة والتوحيد.

وكتب: أحمد بن محمد بن ناصر التام في يوم الخميس السادس
من شهر محرم الحرام لعام أربعة وأربعين وأربعمائة وألف من
الهجرة النبوية.

ترجمة مختصرة للمؤلف

هو العلامة الكبير، والمجدد الشهير، والداعى إلى الهدى والتوحيد، ونبذ الشرك والمحدثات والتنديد، شيخ الإسلام العلم الهمام، إمام عصره، وفريد دهره، أبو عبدالله محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي -رحمه الله-.

[من بحر السريـع]

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد.

ولد سنة (1115هـ) في بلدة العيينة، من بلاد نجد الجزيرة، ونشأ في حجر والده، ودرس عليه الفقه الحنبلي والتفسير والحديث؛ ووفقه الله للاعتناء بكتب الشيخين الإمامين ابن تيمية وابن القيم -رحمهما الله-.

ثم سافر في طلب العلم إلى عدة بلدان، فأخذ عن الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف، والشيخ المحدث محمد بن حياة السندي، والشيخ أفندي الداغستاني، والشيخ إسماعيل العجلوني، والشيخ

عبد اللطيف الاحسائي، والشيخ محمد المجموعي، والشيخ عبدالله بن عبد اللطيف الشافعي -رحمهم الله جميعاً-.

وعند رجوعه لبلده، ومشاهدته للشركيات والخرافات والبدع والضلالات، بدأ دعوته للتوحيد والإيمان، وشرح لهم العقيدة، وبيّن لهم الحق والسنة، وكان كثير الالتزام بالدليل، مما جعل حجته قوية، وأدلتة دامغة.

فحصل بينه وبين قومه نزاع وجدال، فاستمر في دعوته وتعليمه وجهاده، وصبر على ذلك؛ وتنقل بين حريملا والعيينة والدرعية، وبها استقر مقامه، وتعاهد مع أميرها الإمام المجاهد محمد بن سعود -رحمه الله- على دعوة التوحيد والسنة، ونبذ الشرك والخرافة والبدعة.

ومؤلفاته مطبوعة منشورة، وبين العلماء متداولة مشهورة، جُمعت مع بعض مختصراته ومراسلاته في عدة مجلدات، واشهر هذه المؤلفات، كتابه النافع الفريد **"كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد"**، و**"فضل الإسلام"**، و**"أصول الإيمان"**

و"القواعد الأربع"، و"كشف الشبهات في التوحيد"، و"كتاب الكبائر"، و"ثلاثة الأصول وأدلتها"، و"نواقض الإسلام"، و"شروط الصلاة وأركانها وواجباتها"، و"آداب المشي إلى الصلاة"، و"معنى الطاعات ورؤوس أنواعه"، و"تفسير سورة الفاتحة"، و"فضائل القرآن"، و"مسائل الجاهلية"، وغيرها الكثير.

وقد نفع الله بها من شاء من عباده في جميع أقطار الأرض، يتنافس الناس في اقتنائها ودراستها، وشرحها والتعليق عليها؛ فعلى تأخر زمانه تجد كتبه ورسائله مشروحة مخدومة، طبعت طبعات كثيرة، وبلغت نسخها الآفاق؛ وما ذاك إلا لسر يعلمه الله، فرحمه الله رحمة واسعة وغفر لنا وله.

له طلاب من أشهرهم: الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر، والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين، والشيخ سعيد بن حجي، والشيخ عبدالرحمن بن نامي، والشيخ أحمد بن راشد العريني، والشيخ حسن بن عيدان، والشيخ عبدالعزيز بن سويلم، وغيرهم.

وتوفي - رحمه الله - بعد حياة علم وعمل ودعوة وصبر في سنة
(1206هـ).

قال -رحمه الله:-

(بسم الله الرحمن الرحيم)

بدأ المؤلف -رحمه الله- هذا المتن بالبسملة، إقتداءً بالكتاب العزيز، وبمكاتبات الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى الملوك والأمراء، وبهدي الأنبياء والمرسلين من قبله كسليمان -صلى الله عليه وسلم-.

والباء في البسملة حرف جر، وهي للاستعانة على الصحيح، وخلاف النحويين في الجار والمجرور متعلق بماذا؟ فقال الكوفيون: متعلق بفعل محذوف مقدر، فهو في محل نصب، وعليه فالجملة فعلية؛ وقال البصريون: الجار والمجرور متعلق باسم محذوف مقدر، فهو في محل رفع، وعليه فالجملة اسمية؛ والراجح كون المحذوف فعل مقدر، وحذف لأجل البداءة باسم الله تبركاً وتعظيماً وإجلالاً، ولأجل يتقدم المعمول على عامله فيفيد الحصر، فنقول: بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ، أو اكتب، أو اشرح... وهكذا.

ولفظ الجلالة في محل جر -مع الإجلال- بالإضافة، والرحمان والرحيم اسمان من أسماء الله تعالى وهما مشتقان من الرحمة، وصيغة فعْلان أشمل من صيغة فَعِيل، فهي من صيغ المبالغة، وإن كان في فَعِيل مبالغة أيضاً، فالرحمان هو الذي شملت رحمته جميع مخلوقاته في الدنيا بدون استثناء، وللمؤمنين في الآخرة؛ وأما الرحيم فهو ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين يوم القيامة.

وقال بعض أهل العلم: اسم الرحمان دال على أن الرحمة صفته، واسم الرحيم دال على أنه يرحم خلقه برحمته.

وهما نعتان مجروران للفظ الجلالة.

ومن أراد مزيد الكلام عن إعراب البسمة فليراجع رسالتنا: **"إعراب البسمة"**.

قال:

(اعلم أن من أعظم نواقض الإسلام عشرة)

قوله: (**اعلم**) فعل أمر مبني على السكون، وهذه الكلمة يؤتى بها للأهمية والتنبيه على ما سيأتي بعدها، والعلم في اللغة له عدة معانٍ ومنها: اليقين، علمته تيقنته؛ والعلماء يقولون: هو حُكم الذهن الجازم المطابق للواقع؛ أو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا؛ وكأنَّ المؤلف -رحمه الله- بدأ بتنبيهك إلى أن ما يُلقيه عليك في هذه الوريقات القليلة العدد، الكثيرة النفع، هو كلام مهم جدًّا، وينبغي لك أن تعلمه وتفهمه وتتقنه، فما هو هذا الذي ينبغي لك أن تعلمه؟

قال: (**أن من أعظم نواقض الإسلام عشرة**)

والنواقض: جمع ناقض، وهو اسم فاعل لغير العاقل؛ والنون والقاف والضاد أصل صحيح يدل على نكث شيءٍ؛ والناقض المبطل المفسد، كما تقول: نواقض الضوء ومبطلات الصلاة ومفسدات الصوم؛ والمعنى متقارب.

ومنه: قوله تعالى: {**ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها**}¹¹.

¹¹ سورة النحل الآية <91>.

والإسلام: السين واللام والميم أصل صحيح، وهو مصدر أسلم، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله؛ وسمى الله به الدين الذي بعث به محمدًا -صلى الله عليه وسلم-، المبني على القواعد والأركان الاعتقادية والقولية والفعلية، وأهمها التوحيد، وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين.

وعشرة: القاعدة في اللغة: مخالفة العدد للمعدود في التذكير والتأنيث، ولما كانت النواقض مذكر فقال عشرة، وقد تقدم المعدود على العدد فيجوز فيه الوجهين من التذكير والتأنيث؛ وهي أكثر من ذلك يذكرها الفقهاء في حكم المرتد من كتب الفروع، ومردّها إلى هذه العشرة.

والقصد: أن عليك أيها المسلم معرفة وعلم هذه العشرة النواقض، أي: موجبات الكفر بعد الإسلام، وهي التي تنقض إسلامك وتصيرك مرتدًا كافرًا، والمرتد حكمه كما قال النبي -صلى الله

عليه وسلم:- (من بدل دينه فاقتلوه) رواه الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-¹².

وهي المفسدات المبطلات للإسلام، كما تفسد الأحداث الطهارة، فانظر إلى عِظَم خطرهما، أعاذنا الله وإياك منها.

وهذه العشرة النواقض أكثرها في جانب الألوهية، وبعضها في جانب الربوبية وجانب الرسالة؛ وتسمى بنواقض الإيمان، ونواقض الشهادتين، وأنواع الردة؛ والردة عن الإسلام هي الرجوع عنه، والنكوص على الأعقاب، قال تعالى: {ومن يردد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} ¹³.

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس

¹² صحيح البخاري (3017-6922) كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، وكتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة واستنابتهما.

¹³ سورة البقرة الآية <217>.

بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)¹⁴، الشاهد: (التارك لدينه).

وهي باب خطير، ومسلك صعب، وأعداء الإسلام يحاولون - ليلًا ونهارًا - أن يردوا المسلمين عن دينهم الحق، قال تعالى: {ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق}¹⁵، كما أن الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم، لا يزالون في قتال مع المسلمين وحرب ضروس حتى يردوهم عن الإسلام إن استطاعوا، قال سبحانه: {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا}¹⁶.

¹⁴ صحيح البخاري (6878) كتاب الديات باب قوله تعالى: {أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون} سورة المائدة الآية <45>، وصحيح مسلم (1676) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم.

¹⁵ سورة البقرة الآية <109>.

¹⁶ سورة البقرة الآية <217>.

وكل أسباب الردة التي في هذه الرسالة، ترجع إلى أمرٍ واحد وهو مناقضتها للشهادتين؛ وتكون بالاعتقاد: كالناقض الخامس؛ وبالأقوال: كالناقض السادس؛ وبالأفعال: كالناقض السابع؛ وبالترك: كالناقض العاشر؛ وبالشك: كالناقض الثالث.

فلا يكفي أن يُقال: أنا مسلم؛ ويفعل ما يناقض الإسلام من الذبح لغير الله، والنذر للقبور والأضرحة، والاستغاثة بالأموات، والتوسل بهم إلى الله، إذ هذه الأمور عبادات ومن صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله فقد أشرك، وحبط عمله، وخسر الخسران المبين؛ وهؤلاء الذين يقولون: أنا مسلم وكفى، -شعروا أو لم يشعروا- أن على كلامهم هذا: يدخل في الإسلام الباطنية والقرامطة وأصحاب القبور، والفرق الضالة المنحرفة كالروافض والقاديانية، وغيرهم ممن يدعى الإسلام مجرد دعوى.

وهؤلاء في الحقيقة أخطر من الملاحدة والشيوعيين، وذلك أن الملاحدة والشيوعيين ما ادعوا الإسلام، وقالوا: ما نحن عليه هو الإسلام؛ مع تمجيدهم لمبادئهم وأفكارهم.

أما هؤلاء فينقضون إسلامهم وتوحيدهم وإيمانهم -صباح مساء-، ثم يقولون: نحن مسلمون! أو لم يعلموا أن الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والخضوع لأمره ونهيه دون اعتراض، بحيث تدعن وتنقاد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

لأن الناس بالنسبة للاستسلام لله على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الموحّد: وهو من استسلم لله بإفراده بالعبادة وحده لا شريك له.

والقسم الثاني: المشرك: وهو من استسلم له ولغيره، بأن عبده وعبد معه غيره.

والقسم الثالث: المستكبر: وهو من لم يستسلم لله أصلاً، بل استنكف عن عبادة الله، قال تعالى: **{لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً* فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهمْ أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا**

واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً¹⁷.

ولهذا؛ فالناس في نواقض الإسلام على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: الذين يغالون في التكفير والحكم على الناس بالكفر، فكل من خالفهم كفروه، واستحلوا دمه، بل يكفرون بالذنوب والمعاصي كالكبائر التي هي دون الشرك، والسبب أنهم أخذوا نصوص الوعيد وتركوا نصوص الوعد، ولذا: ليس عندهم كفر أكبر وكفر أصغر، ولا شرك أكبر وشرك أصغر، وإنما الكفر والشرك عندهم شيء واحد، فهذا مذهب الخوارج.

والمذهب الثاني: الذين يقولون: الإيمان بالقلب ولا يدخل فيه العمل، فلو عمل ما عمل من الأمور التي تخرجه من الملة فإنه لا يكفر، ويستندون لقاعدتهم: لا تضر مع الإيمان معصية، ولا تنفع مع الكفر طاعة؛ والسبب أنهم أخذوا نصوص الوعد وتركوا نصوص الوعيد، فهذا مذهب المرجئة.

¹⁷ سورة النساء الآية <172-173>.

والمذهب الثالث: الذين كانوا وسط بين المذهبيين، مذهب الخوارج ومذهب المرجئة، فجمعوا بين نصوص الوعد والوعيد، وقالوا: أن الكفر والشرك ينقسم إلى قسمين: كفر أكبر وكفر أصغر، وشرك أكبر وشرك أصغر، والذنوب التي دون الشرك لا يكفر صاحبها، فالكفر الأكبر والشرك الأكبر يخرجان من الملة، وأما الكفر الأصغر والشرك الأصغر فلا يخرجان من الملة، خلأً للخوارج، ولكنهما ينقصان الإيمان خلأً للمرجئة. ولذا: جمعوا بين الخوف والرجاء، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وهو الحق الأبلج والصواب الصحيح.

وتترتب على الردة أحكام:

الأول: بغض المرتد ومعاداته وعدم موالاته ولو كان أقرب قريب، قال تعالى: **{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ثَلَقُون إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ**

بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل* إن
يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء
وودوا لو تكفرون* لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة
يفصل بينكم والله بما تعملون بصير* قد كانت لكم أسوة حسنة
في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما
تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
أبدأ حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لك
وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك
المصير}{¹⁸، وقال سبحانه: {لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم
الآخر يوآدون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم
أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم
بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله
هم المفلحون}{¹⁹.

¹⁸ سورة الممتحنة الآيات <4-1>.

¹⁹ سورة المجادلة الآية <22>.

الثاني: لا يتزوج الكافر بالمسلمة خشية الفتنة في دينها، لأنها تحت قوامته، قال تعالى: {ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً} ²⁰، ولعموم قوله تعالى: {ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم} ²¹، وقال سبحانه: {فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن للكفار لا هن حلٌ لهم ولا هم يحلون لهن} ²².

الثالث: يُمنع من دخول الحرم المكي، لقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتهم عيلةٌ فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم} ²³، ولما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه

²⁰ سورة النساء الآية <141>.

²¹ سورة البقرة الآية <221>.

²² سورة الممتحنة الآية <10>.

²³ سورة التوبة الآية <28>.

وسلم- أرسل عليًا في موسم الحج (ألا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان)²⁴.

الرابع: استتابة المرتد، ويُمهّل ثلاثة أيام إن تاب ورجع في هذه المدة يُقبل منه ذلك ويترك.

الخامس: إذا أبى أن يتوب وجب قتله حدًا، لتحقيق الردة وعدم الرجوع والتوبة.

السادس: يُمنع خلال مدة الاستتابة من التصرّف في ماله، فإن أسلم فهو له، وإلا صار فينًا لبيت المال، من حين يموت أو يقتل على الردة، وقيل: من حين ارتداده.

السابع: ينقطع التوارث بينه وبين أقاربه، لأن المسلم لا يرث الكافر والكافر لا يرث المسلم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- أن النبي

²⁴ صحيح البخاري (369-1622) واللفظ له، كتاب الصلاة، باب ما يستر العورة؛ وكتاب الحج، باب لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج مشرك؛ وصحيح مسلم (1347) كتاب الحج، باب لا يحج بالبيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وبيان يوم الحج الأكبر.

-صلى الله عليه سلم- قال: (لا يرث المسلم الكافر، ولا يرث الكافر المسلم)²⁵.

ولذا: فالكفر مانع من موانع الإرث، قال الرحبي: [من بحر الرجز]
ويمنع الشخص من الميراث واحدة من علي ثلاث
رق وقتل واختلاف دين فافهم فليس الشك كاليقين.

الثامن: إذا مات أو قُتل على رדתه، فإنه لا يُغسل ولا يصلى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ويُدفن في مقابر الكفار أو يُوارى في التراب في أي مكان غير مقابر المسلمين، قال تعالى: {ولا تصلّ على أحدٍ منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون}²⁶.

²⁵ صحيح البخاري (6764) كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم، وصحيح مسلم (1614) واللفظ له، كتاب الفرائض.
²⁶ سورة التوبة الآية <84>.

ثم بعد ذلك قام المؤلف -رحمه الله- بسردها واحدًا فواحدًا، مع ذكر الدليل على كونها نواقض، وضرب الأمثلة على ذلك، بأسلوب رشيق سهل، وعبارة سلسلة عذبة.

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى؛ والدليل قوله تعالى: {إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} 27، ومنه: الذبح لغير الله؛ كمن يذبح للجن، أو للقبر.

أول هذه النواقض الشرك بالله العظيم، والشين والراء والكاف أصل صحيح يدل على مقارنة وخلاف انفراد، ومنه: شاركت فلاناً صرت شريكه، وجمعه أشراك.

وفي الشرع: هو جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، ودعوته معه.

والعبادة العين والباء والداال من الأصول، ومنه: الدلالة على اللين والذلّ، فهي في اللغة: التذلل، يُقال: طريق معبد أي: مذلّ، كما قال امرؤ القيس: [من بحر الطويل]

تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتَّبَعْتَ وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرِ مَعْبَدٍ.
يعني: مذلّ.

²⁷ سورة النساء الآية <48>.

فالعبادة هي التذلل والخضوع والانكسار، وسمّي العبد عبداً، لأنه ذليل بين يدي الله، مقهور مربوب للذي خلقه وأوجده، وبالنعم غذاه ورباه.

وفي عُرف الفقهاء: ما أمر به شرعاً، من غير اطرادٍ عرفيٍّ، ولا اقتضاءٍ عقليٍّ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله:-

العبادة: اسم جامع لكلّ ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال، الباطنة والظاهرة²⁸.

وبالجملة: فهي توحيده وطاعته، مع تعظيم أوامره ونواهيه، عن محبة له -سبحانه وتعالى- صادقة، ورغبة فيما عنده، مع الذل والخضوع والانكسار.

²⁸ كتاب العبودية (44).

قال تعالى: {إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً}²⁹.

قال ابن القيم -رحمه الله- في نونيته: [من بحر الكامل]

وعبادة الرحمن غاية حبه
مع ذلّ عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر
ما قام حتى قامت القطبان³⁰.

ولا تصح العبادة إلا بشرطين:

الشرط الأول: الإخلاص لله تعالى.

والشرط الثاني: متابعة الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

والدليل: قوله تعالى: {بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن}³¹،
وقوله سبحانه: {فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً
ولا يشرك بعبادة ربه أحداً}³².

²⁹ سورة الأنبياء الآية <90>.

³⁰ الكافية الشافية (35).

³¹ سورة البقرة الآية <112>.

³² سورة الكهف الآية <110>.

هذا والشرك في عبادة الله، أعظم ذنب عُصي الله به، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه- قال: سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أيُّ الذَّنْبِ أعظم؟ قال: (أن تجعل لله ندًّا وهو خالقك)³³.

ولهما من حديث أبي بكرة -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ألا أُنبئُكم بأكبر الكبائر)، قلنا: بلى يا رسول الله! قال: (الإشراك بالله، وعقوق الوالدين)³⁴.

ولهما -أيضًا- من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا: يارسول الله! وما هُنَّ؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس

³³ صحيح البخاري (4477) كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: {فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون} سورة البقرة الآية <22>; وصحيح مسلم (86) كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده.

³⁴ صحيح البخاري (2654-5976) كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور؛ وكتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، وصحيح مسلم (87) كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها.

التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتّوّلي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)³⁵.

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان مُتَكَنًّا فدخل عليه رجل فقال: ما الكبائر؟ فقال: (الشرك بالله، والإياس من روح الله، والأمن من مكر الله، وهذا أكبر الكبائر)³⁶.

وروى عبدالرزاق في مصنفه والطبري في تفسيره عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: (أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله)³⁷.

وقد بَوَّب المؤلف -رحمه الله- في "كتاب الكبائر":

³⁵ صحيح البخاري (2766) واللفظ له، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً} سورة النساء الآية <10>; وصحيح مسلم (89) كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها. ³⁶ تفسير ابن أبي حاتم (931/3).

³⁷ مصنف عبدالرزاق (260/10) واللفظ له، وتفسير الطبري (243/8) شاكر).

باب أكبر الكبائر، وباب ذكر اليأس من روح الله، والأمن من مكر الله؛ وهذه الترجمة مستوحاة مما سبق ذكره من الأدلة.

والشرك لا يحبه الله ولا يرضاه، بل يسخطه ويأباه، قال تعالى: **{ولا يرضى لعباده الكفر}**³⁸؛ وإنما يرضى لعباده الإسلام، قال سبحانه: **{ورضى لكم الإسلام ديناً}**³⁹، وفي صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: **{إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال}**⁴⁰، الشاهد: **{فيرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً}**.

³⁸ سورة الزمر الآية <7>.

³⁹ سورة المائدة الآية <3>.

⁴⁰ صحيح مسلم (1715) كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه، أو طلب ما لا يستحقه.

والشرك هو الظلم العظيم، والجرم الوخيم، والشر الخطير،
والذنب الكبير، والخسران المبين.

قال تعالى: {إن الشرك لظلم عظيم}⁴¹، وقال سبحانه: {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم}⁴²، أي: بشرك.

إذ كيف تجعل مع الله الذي خلقك ورباك، ورزقك وعافاك،
وبالنعم غداك، شريكًا تعبد معه، وتصرف له أنواع العبادات؟!
وهو الذي يقول في محكم كتابه: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون* الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون}⁴³، وروى الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه من حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

⁴¹ سورة لقمان الآية <13>.

⁴² سورة الأنعام الآية <82>.

⁴³ سورة البقرة الآية <21-22>.

(من مات وهو يدعو من دون الله نداءً دخل النار)⁴⁴؛ إلا يدل هذا على الظلم والجور والحيث والتنكر والوقاحة، ألا تستحي ممن {له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير* هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم* هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها والله بما تعملون خبير* له ملك السماوات والأرض وإليه ترجع الأمور* يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو معكم أين ما كنتم والله عليم بذات الصدور}⁴⁵، فتخلص له العبادة على ما شرع، وتنزهه في اسمائه وصفاته وجميع أفعاله عن الأهواء والبدع، ولا تصرف لأحدٍ سواه أي نوع من أنواع العبادة، بل تجعلها له خالصة، وتسأله الاخلاص والتوفيق والثبات والقبول، قال تعالى: {وما

⁴⁴ صحيح البخاري (4497) كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله} سورة البقرة الآية <165>.

⁴⁵ سورة الحديد الآيات <2-6>.

خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون⁴⁶، أي: يوحدون؛ وقال عز وجل: **{واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً}**⁴⁷، وقال سبحانه: **{وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء}**⁴⁸.

لأن حقيقة الشرك: هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، **{ثم الذين كفروا بربهم يعدلون}**⁴⁹؛ فهو أعظم أنواع الردة، لأنه صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله من ملائكة أو أنبياء أو أولياء أو جن أو أحوار أو أشجار أو غير ذلك؛ فصرف أي نوع من هذه العبادات: كالدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرغبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والصلاة والنذر وغيرها من أنواع العبادات التي أمر الله بها، لغير الله شرك محض، وصاحبه وقع

⁴⁶ سورة الذاريات الآية <56>.

⁴⁷ سورة النساء الآية <36>.

⁴⁸ سورة البينة الآية <5>.

⁴⁹ سورة الأنعام الآية <1>.

في دائرة الشرك والكفر، فانظر إلى خطر هذا الفعل الشنيع والعمل القبيح.

ودليل الدعاء قوله تعالى: {وَأَن الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} 50، وقوله سبحانه: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} 51، وفي الصحيح (الدعاء هو العبادة) 52.

ودليل الخوف قوله تعالى: {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ} 53.

ودليل الرجاء قوله تعالى: {فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} 54.

50 سورة الجن الآية <18>.

51 سورة غافر الآية <60>.

52 رواه الإمام أحمد في مسنده (18386-18391-18432-18436)، وأبو داود في سننه (1479)، والترمذي في جامعه (2969-3247-3372)، وابن ماجه في السنن (3828) من حديث النعمان بن بشير-رضي الله عنه-.

53 سورة آل عمران الآية <175>.

54 سورة الكهف الآية <110>.

ودليل التوكل: قوله تعالى: {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم
مؤمنين} 55.

ودليل الرغبة والرغبة والخشوع قوله تعالى: {إنهم كانوا
يُسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا
خاشعين} 56.

ودليل الخشية قوله تعالى: {فلا تخشوهم واخشون} 57.

ودليل الإنابة قوله تعالى: {وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له} 58.

ودليل الاستعانة قوله تعالى: {إياك نعبد وإياك نستعين} 59.

55 سورة المائدة الآية <23>.

56 سورة الأنبياء الآية <90>.

57 سورة البقرة الآية <150>.

58 سورة الزمر الآية <54>.

59 سورة الفاتحة الآية <5>.

ودليل الاستعاذة قوله تعالى: {قل أعوذ برب الفلق}⁶⁰، وقوله سبحانه: {قل أعوذ برب الناس}⁶¹.

ودليل الاستغاثة قوله تعالى: {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم}⁶².

ودليل الذبح والصلاة قوله تعالى: {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين* لا شريك له}⁶³، وقوله سبحانه: {فصل لربك وانحر}⁶⁴.

ودليل النذر قوله تعالى: {يوفون بالنذر}⁶⁵.

فمن هذا يتبين لنا كـمثال:- أن من صرف عبادة النذر لغير الله، كالنذر للقبور والأضرحة والقباب والمشاهد، والذبح عندها والطواف بها، تقرباً ومحبةً إليها؛ فقد أشرك؛ وإن قالوا: هذا

⁶⁰ سورة الفلق الآية <1>.

⁶¹ سورة الناس الآية <1>.

⁶² سورة الأنفال الآية <9>.

⁶³ سورة الأنعام الآيات <162-163>.

⁶⁴ سورة الكوثر الآية <3>.

⁶⁵ سورة الإنسان الآية <7>.

توسل بالصالحين والأولياء وأهل الكرامات! فهذا الزعم الباطل قاله مشركوا الجاهلية: {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} 66، ولم يقولوا ما نعبدهم إلا لأنهم يخلقوا ويرزقوا أو ينفعوا ويضروا؛ بل قالوا: لأجل التقرب والشفاعة والجاه، فكارن بين كلامهم وكلام القبوريين من أهل زماننا.

مع أنه كان بإمكانهم لو وفقوا للخير: أن يدعوه ويسألوه فهو قريب مجيب، قال تعالى: {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان} 67، وقال جل وعلا: {وقال ربكم ادعوني أستجب لكم} 68.

ولكن زين لهم الشيطان وسول لهم عبادة غير الله معه، وصرف الكثير من أنواع العبادات لغيره؛ وعلماء السوء ومجاذيب القبور والأضرحة أتموا هذا التلبيس والتدليس، والخداع على الأتباع السذج، والعوام الجهال: بأن هؤلاء أولياء صالحين، وأئمة

66 سورة الزمر الآية <3>.

67 سورة البقرة الآية <186>.

68 سورة غافر الآية <60>.

شفعاء؛ وما نفعله من الدعاء والنذر ونحو ذلك، هو توسل بهم ليشفعوا لنا عند الله فمقامهم عظيم؛ فترى أحدهم يصرف نوع أو أكثر من أنواع العبادات لغير الله، فيصبح بهذا العمل في دائرة الشرك والكفر، مع أنه يشهد أن لا إله إلا الله، ويصلي ويصوم ويحج؛ ولا فرق بينه وبين المسلمين الموحدين إلا أنه ناقض الركن الأول من أركان الإسلام، بأن أشرك في عبادة الله غيره؛ وهذا هو السبب والباعث الحقيقي لخروجه من دائرة الإسلام إلى دائرة الشرك والكفر، والعياذ بالله.

والله إنما أنزل الكتب وأرسل الرسل إلا لبيان الدعوة إلى التوحيد، والنذارة من الشرك، قال تعالى: {يا أيها المدثر * قم فأندر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر} ⁶⁹، وقال سبحانه: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} ⁷⁰؛ ولذا: أنت تجد القرآن الكريم فيه المناداة بالتوحيد، والتحذير من الشرك، والتوعد عليه، وذلك ظاهر لا تخلو منه سورة من سور

⁶⁹ سورة المدثر الآيات <1-5>.

⁷⁰ سورة النساء الآية <165>.

القرآن، ومع هذا -فيوجد- من يقرءون القرآن ولا يتجنبون الشرك.

قال المؤلف -رحمه الله- في رسالته "القواعد الأربع":

إذا دخل الشرك في العبادة فسدت؛ كالحديث إذا دخل في الطهارة؛ كما قال تعالى: {ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون}⁷¹، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار: عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك؛ لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله. اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

ولا يحبط الأعمال غير الكفر، لأن من مات على الإيمان: فإنه لا بد من أن يدخل الجنة ويخرج من النار إن دخلها، ولو حبط عمله كله لم يدخل الجنة قط، ولأن الأعمال إنما يحبطها ما

⁷¹ سورة التوبة الآية <17>.

ينافيها، ولا ينافي الأعمال مطلقًا إلا الكفر، وهذا معروف من أصول أهل السنة⁷². اهـ

ورحم الله الحكمي حين قال: [من بحر الرجز]

ثم العبادة هي اسم جامع	لكل ما يرضى الإله السامع
وفي الحديث مَخُها الدَّعَاءُ	خوفٌ توكلٌ كذا الرَّجَاءُ
ورغبةٌ ورهبةٌ خشوعٌ	وخشيةٌ إنابةٌ خضوعٌ
والاستعاذة والاستعانة	كذا استغاثته به سبحانه
والذبح والنذر وغير ذلك	فافهم هُديتَ أوضح المسالك
وصرف بعضها لغير الله	شركٌ وذاك أقبحُ المناهي ⁷³ .

والشرك قسمان:

⁷² الصارم المسلول (55).

⁷³ منظومة سلم الوصول (17).

الأول: الشرك الأكبر: وهو الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة قبل الممات، وصاحبه إن لقي الله به فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها.

والدليل على ذلك قوله تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضللاً بعيداً} 74، وقوله سبحانه: {إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار} 75، وقوله عز وجل: {ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق} 76، وغير ذلك من الأدلة الدالة على أن من مات على الشرك الأكبر ولقي الله به، ولم يتب منه قبل موته، فإنه لا يغفره الله وصاحبه خالدًا مُخلدًا في النار، أبد الأبدین؛ وما دون الشرك كالكبائر: شرب الخمر، والسرقة، والزنا واللواط، هذه كلها دون الشرك، فإن مات عليها ولم يتب، فإنه داخل تحت

74 سورة النساء الآية <48>.

75 سورة المائدة الآية <72>.

76 سورة الحج الآية <31>.

المشيئة، من جملة أصحاب الكبائر الفساق، الذين نقص إيمانهم بسبب المعاصي والذنوب التي ارتكبوها، إن شاء الله غفر لهم بما معهم من التوحيد، وإن شاء عذبهم بذنوبهم، ثم مآلهم إلى الجنة بالتوحيد الذي معهم.

والفاسق المَلِيُّ ذُو الْعِصْيَانِ	لَمْ يُنَفَّ عَنْهُ مُطْلَقُ الْإِيمَانِ
لكن بقدر الفسق والمعاصي	إيمانه ما زال في انتقاص
وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ فِي النَّارِ	مُخَلَّدٌ، بَلْ أَمْرُهُ لِلْبَارِي
تحت مشيئة الإله النافذة	إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ أَخَذَهُ
بقدر ذنبه وإلى الجنان	يُخْرَجُ إِنْ مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ.

وفي قوله تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ}، وعيد شديد وخطر أكيد، أن الجنة محرمة تحريمًا أبدًا على المشركين، ولا مطمع لهم فيها؛ وأن مأواهم ومقرهم هي النار أبد الآباد.

وروى البخاري -رحمه الله- في صحيحه من حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (من مات وهو يدعو لله ندًّا؛ دخل النار).

وروى الإمام مسلم -رحمه الله- في صحيحه من حديث جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار)⁷⁷.

والشرك الأكبر محبط للأعمال، قال تعالى: {لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين}⁷⁸، وقال سبحانه: {ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون}⁷⁹، وقال جل وعلا: {ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين}⁸⁰.

⁷⁷ صحيح مسلم (93) كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات مشركًا دخل النار.

⁷⁸ سورة الزمر الآية <65>.

⁷⁹ سورة الأنعام الآية <88>.

⁸⁰ سورة المائدة الآية <5>.

ولا يقبل الله معه عملاً صالحاً، قال تعالى: {وقدمنا إلى ما عملوا

من عمل فجعلناه هباءً منثوراً} ⁸¹.

وهو يشمل الشرك في الربوبية والإلهية والأسماء والصفات، ولكن الشرك في العبادة هو الغالب على كل الأمم في القديم والحديث.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: [من بحر الكامل]

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران

وهو اتخاذ الند للرحمان أي ما كان من حجر ومن إنسان

يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الديان ⁸². اهـ

وقال العلامة حافظ الحكمي -رحمه الله-: [من بحر الرجز]

والشرك نوعان فشرك أكبر به خلود النار إذ لا يُغفر

وهو اتخاذ العبد غير الله ندّاً به مُسوياً مُضاهي

⁸¹ سورة الفرقان الآية <23>.

⁸² الكافية الشافية (220).

يقصده عند نزول الضرّ لجلب خير أو لدفع الشرّ
أو عند أيّ غرض لا يقدر عليه إلا المالك المُتدّر
مع جعله لذلك المدعوّ أو المُعظّم أو المرجُوّ
في الغيب سلطاناً به يطلّع على ضمير من إليه يفزع⁸³.

والشرك الأكبر أنواعه كثيرة ومدارها على أربعة أنواع:

النوع الأول: شرك الدعوة.

قال تعالى: {فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما
نجاهم إلى البر إذا هم يشركون}⁸⁴.

قال المؤلف في رسالة "القواعد الأربع":

أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين؛ لأن الأولين
يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدة، ومشركو زماننا
شركهم دائم في الرخاء والشدة. اهـ

⁸³ منظومة سلم الوصول لحافظ حكي (17).

⁸⁴ سورة العنكبوت الآية <65>.

وروى الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه من حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **(من مات وهو يدعو لله نداءً دخل النار).**

وشرك الدعاء يكون بسائر أنواع الطلب كالاستعاذة والاستغاثة والاستعانة، وقد بَوَّب المؤلف -رحمه الله- في كتاب التوحيد: باب من الشرك الاستعاذة بغير الله، وباب من الشرك أن يستغيث بغير الله، أو يدعو غيره.

النوع الثاني: شرك النية والإرادة والقصد.

قال تعالى: **{من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفَّ إليهم أعمالهم فيها وهم لا يبخسون* أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون}**⁸⁵.

⁸⁵ سورة هود الآية <15-16>.

وفي الصحيحين من حديث عمر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)**⁸⁶.

وهذا منه سائر أنواع شرك النيات، نسأل الله السلامة والعافية.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-:

أما الشرك في الإرادات والنيات؛ فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه، من أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئاً غير التقرب إليه، وطلب الجزاء منه، فقد أشرك في نيته وإرادته⁸⁷. اهـ.

وقد بَوَّبَ المؤلف -رحمه الله- في **"كتاب التوحيد"**:

باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

⁸⁶ صحيح البخاري (1) كتاب بدء الوحي؛ وصحيح مسلم (1907) كتاب الإمارة، باب قوله -صلى الله عليه وسلم- **(إنما الأعمال بالنية)** وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال.

⁸⁷ الجواب الكافي (135).

وهذا محمول على من جعل نية من أصل الأعمال الشرك،
فيكون شركًا أكبر، لأن مراده بها غير وجه الله، أما من طرأ
عليه الرياء، فهو شرك أصغر.

النوع الثالث: شرك الطاعة.

قال تعالى: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله
والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا
هو سبحانه عما يشركون} ⁸⁸.

وروى الإمام الترمذي -رحمه الله- في جامعه:

عن عدي بن حاتم، قال: أتيتُ النبي -صلى الله عليه وسلم- وفي
عنقي صليبٌ من ذهب، فقال: (يا عدي اطرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثْنَ)،
وسمعه يقرأ في سورة براءة: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا

⁸⁸ سورة التوبة الآية <31>.

من دون الله}، قال: (أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه)⁸⁹.

فهذا في طاعة الأحرار والرهبان في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما حلل الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله:-

هوؤلاء الذين اتخذوا أحرارهم ورهبانهم أرباباً -حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله- يكونون على وجهين: أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله، فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شرکاً، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم.

⁸⁹ جامع الترمذي (3095) أبواب تفسير القرآن، قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبدالسلام بن حرب، وغلطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث؛ وهو في تفسير الطبري (210/14)، وذكر له شاهد موقوف على حذيفة - رضي الله عنه-.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام، وتحليل الحلال ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب⁹⁰. اهـ

النوع الرابع: شرك المحبة.

قال تعالى: {ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حُباً لله}⁹¹.

وهذا الشرك هو جعل المشرك محبة الأنداد والآلهة من الأصنام وغيرها كحب الله وأعظم من ذلك؛ فتجده إذا انتُهكت يغضب لها أعظم مما يغضب لله، ويستبشر لها ما لا يستبشر لله.

قال تعالى: {وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون}⁹².

⁹⁰ مجموع الفتاوى (70/7).

⁹¹ سورة البقرة الآية <165>.

⁹² سورة الزمر الآية <45>.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-:

ها هنا أربعة أنواع من المحبة يجب التفريق بينها، وإنما ضلَّ من ضلَّ بعدم التمييز بينها:

أحدها: محبة الله، ولا تكفي وحدها في النجاة من عذاب الله، والفوز بثوابه، فإن المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله.

الثاني: محبة ما يحبُّ الله، وهذه هي التي تدخله في الإسلام، وتخرجه من الكفر، وأحبُّ الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة، وأشدَّهم فيها.

الثالث: الحب لله وفيه، وهي من لوازم محبة ما يحبُّ، ولا تستقيم محبة ما يحبُّ إلا فيه وله.

والرابع: المحبة مع الله، وهي المحبة الشركية، وكل من أحب شيئاً مع الله، لا لله، ولا من أجله، ولا فيه، فقد اتخذهُ ندّاً من دون الله، وهذه محبة المشركين.

وبقي قسمٌ خامس ليس مما نحن فيه: وهي المحبة الطبيعية⁹³. اهـ
وبعد: فهذه الأنواع الأربعة للشرك الأكبر كلها مخرجة من
الإسلام، لأنها عبادات، وصرف العبادات لغير الله شرك، كما
قال سبحانه: {ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا بُرهان له به فإنما
حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون}⁹⁴، فسماهم الله كافرين،
لدعائهم معه غيره.

ومن الشرك: الاستعانة بغير الله، قال تعالى: {وأنه كان رجالاً
من الإنس يعوزون برجالٍ من الجن فزادوهم رهقاً}⁹⁵.

فصرف الاستعانة إلى غير الله من الجن والشیاطين والحجر
والشجر وغير ذلك شرك.

ومنه: الاستغاثة بغير الله أو دعاء غيره، قال سبحانه: {ولا تدع
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من

⁹³ الجواب الكافي (190).

⁹⁴ سورة المؤمنون الآية <117>.

⁹⁵ سورة الجن الآية <6>.

الظالمين* وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك
بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور
الرحيم}{96.

وقال عز وجل: {ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا
يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون* وإذا حشر
الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين}{97.

وقال جل وعلا: {والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير*
إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم
القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير}{98.

وقال تبارك وتعالى: {أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف
السوء}{99.

96 سورة يونس الآيات <106-107>.

97 سورة الأحقاف الآيات <5-6>.

98 سورة فاطر الآيات <13-14>.

99 سورة النمل الآية <62>.

وروى الطبراني بسند ضعيف: أنه كان في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- منافق يُؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله -صلى الله عليه وسلم- من هذا المنافق؛ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **(إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ)**، ورواه الإمام أحمد في مسنده¹⁰⁰ بلفظ: **(لَا يُقَامُ لِي، وَإِنَّمَا يُقَامُ لِلَّهِ)**، وفي سنده ابن لهيعة ورجل لم يسم، وهذا يدل على اضطراب ابن لهيعة فيه.

(ومنه: الذبح لغير الله؛ كمن يذبح للجن، أو للقبر)

لأن الذبح لله قربة له من أجل القربات، كما في قوله جل وعلا: **{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}**¹⁰¹، وقوله تعالى: **{إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**¹⁰²، والنسك الذبح.

وروى الإمام مسلم -رحمه الله- في صحيحه عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: كنت عند علي بن أبي طالب -رضي الله

¹⁰⁰ المسند (22706 الرسالة).

¹⁰¹ سورة الكوثر الآية <2>.

¹⁰² سورة الأنعام الآية <162>.

عنه- فأتاه رجلٌ، فقال: ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم-، يُسرُّ إليك، قال: فغضب، وقال: ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يُسرُّ إليَّ شيئاً يكتُمُهُ الناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع، قال: فقال: ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى مُحَدَّثًا، ولعن الله من غير منار الأرض)¹⁰³، الشاهد: (لعن الله من ذبح لغير الله)، واللعن هو الطرد والإبعاد.

فلو ذبحت للأولياء أو الأصنام أو الجن فقد خرجت من دائرة الإسلام ودخلت دائرة الكفر، لأنك صرفت عبادة من أجل العبادات لغير الله؛ وإن كان المذبح يسيرًا أو غير منتفعًا به، إذا قصدت التقرب والتعظيم والمحبة، وذلك لما روى الإمام أحمد - رحمه الله- في كتاب الزهد من حديث طارق بن شهاب، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (دخل الجنة رجلٌ في

¹⁰³ صحيح مسلم (1978) كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله.

ذباب، ودخل النار رجلٌ في ذباب)، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: (مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزُهُ أحدٌ حتى يُقرب له شيئاً. فقالوا لأحدهما: قَرِّبْ، قال: ليس عندي شيءٌ، فقالوا له: قرب ولو ذُبَابًا، فقرب ذُبَابًا، فخلوا سبيله)؛ قال: (فدخل النار، وقالوا للآخر: قَرِّبْ ولو ذبابًا، قال: ما كنت لأقرب لأحدٍ شيئاً دون الله عز وجل) قال: (فضربوا عُقَّةً)؛ قال: (فدخل الجنة)¹⁰⁴.

ومنه: النذر لغير الله، لأن النذر عبادة، كما في قوله سبحانه: {وما أنفقتم من نفقة أو ندرتم من نذر فإن الله يعلمه}¹⁰⁵، وقوله جلت قدرته: {يوفون بالنذر}¹⁰⁶.

فالنذر للأولياء بالشموع والدهون واللحوم والحلوى وغير ذلك، كلها من صرف العبادة لغير الله، ومن صرف العبادة لغير الله

¹⁰⁴ كتاب الزهد للإمام أحمد (84) وفيه عنعنة الأعمش، وطارق بن شهاب لم يسمع من النبي -صلى الله عليه وسلم- على القول بصحبته، فحديثه مرسل صحابي، وقد رواه أبو نعيم في الحلية (203/1) عن طارق بن شهاب، عن سلمان -رضي الله عنه- موقوفًا عليه.

¹⁰⁵ سورة البقرة الآية <270>.

¹⁰⁶ سورة الإنسان الآية <7>.

فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، خاصة أنهم يعتقدون في هذه الأضرحة والقبور النفع والضر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكل أنواع العبادات صرفها لغير الله مناقض للإسلام، ودخول في دائرة الكفر والشرك والضلال.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-:

والشرك في العبادة أسهل وأخف أمرًا من شرك عباد الشمس والقمر وعباد النار، لأنه يصدر ممن يعتقد أنه لا إله إلا الله، وأنه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع إلا الله، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، ولكن لا يخص الله في معاملته وعبوديته، بل يعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة، ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة، فله من عمله وسعيه نصيب، ولنفسه وحظه وهواه نصيب، وللشيطان نصيب، وللخلق نصيب، وهذا حال أكثر الناس.

وهو الشرك الذي قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما رواه ابن حبان في صحيحه: **(الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب**

(النمل)، قالوا: كيف ننجو منه يا رسول الله؟! قال: (قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، واستغفرك لما لا أعلم)¹⁰⁷، فالرياء كله شرك، قال تعالى: {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهاكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً}¹⁰⁸.

أي: كما أنه إله واحد، ولا إله سواه؛ فكَذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده، فكما تفرد بالإلهية يجب أن يفرد بالعبودية؛ فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء المقيد بالسنة.

¹⁰⁷ لم أجده في صحيح ابن حبان، وفي الأدب المفرد للبخاري (716) قال: حدثنا عباس النرسي، قال: حدثنا عبدالواحد، قال: حدثنا ليث، قال: أخبرني رجل من أهل البصرة، قال: سمعت معقل بن يسار يقول: انطلقت مع أبي بكر الصديق إلى النبي - صلى الله عليه وسلم-، فقال: (يا أبا بكر، للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل)، فقال أبو بكر: وهل الشرك ألا من جعل مع الله إلهاً آخر؟ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (والذي نفسي بيده، للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره؟) قال: (قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، واستغفرك لما لا أعلم).

والسند فيه رجل مبهم.

¹⁰⁸ سورة الكهف الآية <110>.

وكان من دعاء عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً" ¹⁰⁹.

وهذا الشرك في العبادة يُبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجبًا، فإنه يُنزلُ منزلة من لم يعمله، فيعاقب على ترك الأمر؛ فإن الله سبحانه إنما أمر بعبادته عبادة خالصة، قال تعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء} ¹¹⁰، فمن لم يخلص لله في عبادته؛ لم يفعل ما أمر به، بل الذي أتى به شيء غير المأمور به، فلا يصح ولا يُقبل منه.

¹⁰⁹ رواه الإمام أحمد في الزهد (617) من رواية الحسن عن عمر، والحسن لم يسمع من عمر.

¹¹⁰ سورة البينة الآية <5>.

ويقول الله: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري، فهو للذي أشرك به، وأنا منه بريء)¹¹¹. اهـ

والعمل إذا خالطه الرياء له حالات:

الحالة الأولى: أن يكون رياءً محضاً من أصله، فلا يريد صاحبه إلا الدنيا ومراءات الناس، كالمنافقين الذين قال الله فيهم: {وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً}¹¹².

فهذا العمل لا يشك مسلم بأنه شرك، والعبادة باطلة، وصاحبه يستحق المقت من الله جلا وعلا.

لما روى الإمام أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وابن ماجه في سننه واللفظ له من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال:

¹¹¹ الجواب الكافي (131-132)؛ والحديث رواه مسلم في صحيحه (2985) كتاب الزهد والرفائق، باب من أشرك في عمله غير الله؛ وابن ماجه في سننه (4202) أبواب الزهد، باب الرياء والسمعة، وهذا قريب لسياق ابن ماجه.
¹¹² سورة النساء الآية <142>.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: قال الله عز وجل: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه معي غيري؛ فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك)، وهذا فيه وعيد شديد.

الحالة الثانية: أن يكون العمل لله، ويطرأ عليه الرياء، فهذا له وجهان:

الوجه الأول: أن يجاهد نفسه ولا يسترسل مع الرياء، ولا يطمئن إليه ويسكن، فهذا لا يؤثر عليه -إن شاء الله- لقوله تعالى: {وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى* فإن الجنة هي المأوى} 113.

الوجه الثاني: أن يطمئن للرياء ويسكن، ويسترسل معه ولا يدافعه، فهذا له صورتان:

الصورة الأولى: إذا كانت العبادة يُبنى آخرها على أولها، كالصلاة -مثلاً-، فالعبادة باطلة كلها.

113 سورة النازعات الآيات <40-41>.

الصورة الثانية: إذا كانت العبادة لا يُبنى آخرها على أولها، كالصدقة -مثلاً-، فالجزء الأول منها صحيح، والجزء الأخير باطل.

الحالة الثالثة: ما يطرأ بعد انتهاء العبادة، كأن يسمع المدح والثناء، فهذا لا يؤثر عليها شيئاً، بل هو عاجل بشرى المؤمن.

فائدة:

وهنا مسألة، وهي: من جاهد في سبيل الله وله نية في أخذ المغنم؛ فهذا العمل فيه خلاف بين العلماء.

فالحالة الأولى: إن لم يكن له نية من العمل إلا الدنيا، وإن كان ظاهر عمله لله، كالمجاهد الذي لا يريد جهاداً وإنما نيته المغنم؛ فهذا لا أجر له، لما جاء في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن**

كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه).

قال ابن رجب -رحمه الله-:

وقد ذكرنا فيما مضى أحاديث تدل على أن من أراد بجهاده عرضاً من الدنيا: أنه لا أجر له، وهي محمولة على أنه لم يكن له غرض في الجهاد إلا الدنيا¹¹⁴. اهـ.

وقال ابن القيم -رحمه الله-:

وهذا كمن يصلي بالأجرة؛ فهو لو لم يأخذ الأجرة؛ صلى، ولكنه يصلي لله وللأجرة، وكمن يحج ليسقط الفرض عنه، ويُقال: فلان حج، أو يعطي الزكاة كذلك، فهذا لا يُقبل العمل منه¹¹⁵. اهـ.

¹¹⁴ جامع العلوم والحكم (82/1).

¹¹⁵ إعلام الموقعين (125/2).

والحالة الثانية: أن يكون نيته الجهاد لله مع نية أخذ المغنم، فهذا ينقص أجره بقدر النية الدنيوية ولا يبطل بالكلية، مع كون عمله خطير فالله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له.

قال ابن رجب -رحمه الله-:

نقص بذلك أجرُ جهاده، ولم يبطل بالكلية¹¹⁶. اهـ.

وعلى هذا؛ هناك فرق بين من يجاهد مثلاً للذكر والأجر، وبين من يجاهد للمغنم والأجر.

فالأول: ثبت فيه حديث أبي أمامة الباهلي عند النسائي بسند جيد: أن رجلاً جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر، ماله؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(لا شيء له)**، فأعادها ثلاث مرات، يقول له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(لا شيء له)**، ثم قال: **(إن الله لا يقبل من**

¹¹⁶ انظر: المصدر السابق عند شرح الحديث الأول، فقد تكلم الحافظ ابن رجب - رحمه الله- بتحرير لا مزيد عليه.

العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتُغِيَ به وجهه¹¹⁷، وروى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رجل: يا رسول الله، إني أقف الموقف أريد وجه الله، وأريد أن يُرى موطني، فلم يرد عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئاً حتى نزلت: **{فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً}**¹¹⁸.

والثاني: قد تقدم الكلام عليه. والله أعلم.

والثاني: الشرك الأصغر: وصاحبه إن لقي الله به، فهو تحت المشيئة على الصحيح من معتقد أهل السنة والجماعة، إن شاء الله عفى عنه وادخله الجنة، وإن شاء عذبه، ومآله إلى الجنة،

¹¹⁷ سنن النسائي (3140) كتاب الجهاد، باب من غزا يَلْتَمِس الأجر والذكر، قال: حدثنا عيسى بن هلال الحمصي، قال: حدثنا محمد بن حمير، قال: حدثنا معاوية بن سلام، عن عكرمة بن عمار، عن شداد أبي عمار، عن أبي أمامة -رضي الله عنه-؛ وشيخ الراوي عيسى بن هلال الحمصي وشيخه محمد بن حمير بن أنيس صدوقان، وعكرمة بن عمار العجلي صدوق له أغلاط.

¹¹⁸ سورة الكهف الآية <110>؛ والحديث في المستدرک (2527) وقال الحاكم بعد إخراجهِ: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه.

لأن الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار، ولا يخرج من الملة، مع شدة الوعيد عليه، ولا يحبط العمل، والاعمال الصالحة التي يعملها صحيحة، إلا إنه أعظم خطرًا من الكبائر، فيجب الحذر غاية الحذر من الشرك الأصغر وأنواعه.

والثاني شركٌ أصغرٌ وهو الرياء فسَّره به ختامُ الأنبياء
ومنه إقسامٌ بغير الباري كما أتى في محكم الأخبار
ومن يثق بودعةٍ أو نابٍ أو حَلَقَةٍ أو أعينِ الذئابِ
أو خيطٍ أو عضوٍ من النُّسُورِ أو وترٍ أو ثُرْبَةٍ القبورِ
لأَيِّ أمرٍ كانِ تعلَّقَهُ وَكَلَهُ اللهُ إلى ما علَّقَهُ¹¹⁹.

ومن أنواعه:

الأول: شرك النيات، كيسيّر الرياء، قال تعالى: {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بربه أحداً}¹²⁰.

¹¹⁹ سلم الوصول (18).

¹²⁰ سورة الكهف الآية <110>.

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه وابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود بن لبيد، قال: خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: (إيها الناس، إياكم وشرك السرائر) قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ قال: (يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته جاهداً، لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر)¹²¹.

وفي هذا الحديث بيان أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خاف على صحابته من الشرك الأصغر، وهم الصحابة الفضلاء، من أدركوا نزول الوحي من السماء، وصلوا خلف رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وجاهدوا بين يديه؛ فخوفه على من بعدهم إلى يومنا هذا، من باب أولى، خاصة مع قلة العلم وضعف الإيمان وغياب التقوى.

¹²¹ مصنف ابن أبي شيبة (8403) كتاب الصلوات، باب الرجل يحسن صلاته حيث يراه الناس؛ وصحيح ابن خزيمة (937) واللفظ له ورجاله ثقات.

وعلى كل مسلم لكي يسلم من الوقوع في الشرك والضلال، أن يحرص على الإخلاص لله، وتجريد متابعة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وسؤال الله العصمة والسلامة.

الثاني: شرك الأقوال، كالحلف بغير الله.

روى الإمام الترمذي في جامعه وحسنه والحاكم في مستدركه وصححه عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **(من حلف بغير الله؛ فقد كفر، أو أشرك)**¹²².

وقال عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه-: **(لأن أحلف بالله كاذبًا، أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا)**¹²³.

ومنه قول ماشاء الله وشئت، لما روى الإمام النسائي -رحمه الله- في سننه، من حديث قُتَيْبَةَ -رضي الله عنها-: **(أن يهوديًا أتى**

¹²² جامع الترمذي (1535) أبواب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، وقال: هذا حديث حسن؛ والحاكم في مستدركه (7814) كتاب الأيمان والنذور، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه.

¹²³ مصنف ابن أبي شيبة (12281).

النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال: إنكم تُشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة).

فأمرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: (رب الكعبة)، ويقولون: (ما شاء الله، ثم شئت)¹²⁴.
وروى الإمام أحمد في مسنده والنسائي في الكبرى وابن ماجه في السنن من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-: أن رجلاً أتى النبي -صلى الله عليه وسلم-: فكلمه في بعض الأمر، فقال: ما شاء الله وشئت، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أجعلتني لله عدلاً؟! قل: ما شاء الله وحده)¹²⁵.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-:

¹²⁴ المجتبى للنسائي (3773) كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة.
¹²⁵ المسند (1839)، والسنن الكبرى (10759) للنسائي كتاب عمل اليوم والليلة واللفظ له، وسنن ابن ماجه (2117) أبواب الكفارات، باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت، والحديث مداره على الأجلح بن عبدالله الكندي مختلف فيه، وله شواهد كحديث قتيلة الذي قبله.

فكيف بمن يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا من حسب الله وحسبك، وما لي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت في الأرض.

أو يقول: والله وحياة فلان، أو يقول: نذرًا لله ولفلان، وأنا تأتب لله ولفلان، أو أرجو الله وفلانًا، ونحو ذلك؟

فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل: ما شاء الله وشئت؛ ثم انظر أيُّهما أفحش؟ يتبين لك أن قائلها أولى بجواب النبي -صلى الله عليه وسلم- لقائل تلك الكلمة، وأنه إذا كان قد جعله ندًا لله بها، فهذا قد جعل من لا يداني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في شيء من الأشياء، بل لعله أن يكون من أعدائه، ندًا لرب العالمين¹²⁶. اهـ.

وهنا تنبيه مهم: في من لم يقنع بالحلف بالله، روى الإمام ابن ماجه -رحمه الله- في سننه من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- رجلًا يحلف بأبيه،

¹²⁶ الجواب الكافي (135).

فقال: (لا تحلفوا بآبائكم، من حَلَفَ بالله فليَصْدُقْ، ومن حَلَفَ لَهُ بالله فليَرْضَ، ومن لم يَرْضَ فليس من الله)¹²⁷.

الثالث: شرك الأفعال، كتعليق التمانم، خوفاً من العين، أو لرفع البلاء أو دفع الضر، لما روى الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه من حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَانِمَ وَالتَّوَلَةَ شُرَكَ)¹²⁸، وروى الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه من حديث عقبة بن عامر، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

¹²⁷ سنن ابن ماجه (2101) أبواب الكفارات، باب من حلف له بالله فليرض، وورجل إسناده ثقات ما عدا محمد بن عجلان القرشي وهو صدوق فالحديث حسن.

¹²⁸ المسند (3615)، وسنن أبي داود (3883) كلاهما من طريق الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن يحيى بن الجزار، عن ابن أخي زينب، عن زينب امرأة عبدالله بن مسعود به.

والحديث فيه جهالة ابن أخي زينب وعننة الأعمش، إلا إن الحاكم ذكر له في المستدرک طريقاً أخرى (7505) فقال: حدثنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الزاهد الأصبهاني، ثنا أحمد بن مهران، ثنا عبيدالله بن موسى، ثنا إسرائيل، عن ميسرة بن حبيب، عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن السكن الأسدي، به؛ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه. اهـ.

فالسند رجاله ثقات ما عدا أحمد بن محمد بن مهران النيسابوري وهو مقبول.

(من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له)¹²⁹.

وفي رواية: (من علق تميمة فقد أشرك)¹³⁰.

هذا فيما إذا علقها وجعلها سبب للتأثير، أما من اعتقد أنها مؤثرة بذاتها دون الإله الخالق العظيم فهو مشرك شركاً أكبر في توحيد الربوبية لا اعتقاده أن مع الله خالقاً غيره.

فائدة:

تقسيم الشرك إلى قسمين: شرك أكبر، وشرك أصغر، هو ما ذهب إليه ابن القيم -رحمه الله- في "مدارج السالكين" (348/1)، وتدخل تحت كل قسم أنواع أخرى كما تقدم.

¹²⁹ المسند (17404) من طريق أبي عبد الرحمن، قال: أخبرنا حيوة، قال: أخبرنا خالد بن عبيد، قال: سمعت مشرح بن هاعان، به.

في السند مشرح بن هاعان وهو صدوق الحديث، وخالد بن عبيد المعافري مجهول ولم يوثقه غير ابن حبان وهو متساهل في التوثيق.

¹³⁰ المسند (17423) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: حدثنا عبدالعزيز بن مسلم، قال: حدثنا يزيد بن أبي منصور، عن دُخين الحجري، عن عقبة بن عامر الجهني، به.

وقال بعض أهل العلم:

الشرك ثلاثة أقسام:

الأول: شرك أكبر.

والثاني: شرك أصغر.

والثالث: شرك خفي؛ والدليل ما رواه البخاري في الأدب المفرد عن معقل بن يسار، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل).

وروى الإمام أحمد -رحمه الله- في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- مرفوعاً: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟) قلنا: بلى، قال: (الشرك الخفي -يقوم الرجل فيصلي فيُزيّن صلاته؛ لما يرى من نظر رجلٍ-)

(131).

¹³¹ المسند (11252) قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير، حدثنا كثير بن زيد، عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، عن جده، قال: كنا نتناوب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فنبيت عنده تكون له الحاجة، أو يطرقه أمرٌ من

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: في تفسير قوله تعالى: {فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون}، قال: الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي.

وتقول: لولا كلبه هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص.

وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت.

وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلان.
هذا كله شرك.

الليل، فبيعثنا فيكثر المحتسبين، وأهل النُّوب، فكنا نتحدث فخرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- من الليل، فقال: (ما هذه النجوى؟ ألم أنهكم عن النجوى) قال: قلنا نتوب إلى الله يا نبي الله، إنما كنا في ذكر المسيح فرقًا منه، فقال: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي) قال: قلنا: بلى، قال: (الشرك الخفي: أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل).

والحديث ضعيف، في سننه ربيع بن عبد الرحمن الخدري ضعيف، وكثير بن زيد الأسلمي مختلف فيه والراجح ضعفه.

رواه ابن أبي حاتم¹³².

والذي يظهر من خلال استعراض الأدلة، واستقراء أنواع الشرك، وهو الذي يرجحه علماء السنة المعاصرين: أن الشرك الأصغر على قسمين:

الأول: شرك ظاهر: وهو ما يقع في الأقوال والأفعال.

والثاني: شرك خفي: وهو الذي يكون في النيات والإرادة والمقاصد.

قال العلامة ابن باز -رحمه الله -:

الشرك الأصغر قد يكون خفيًا، لأنه يقوم بالقلوب؛ وقد يكون خفيًا من جهة الحكم الشرعي بالنسبة إلى بعض الناس¹³³. ا.هـ

والفرق بين الشرك والكفر.

¹³² تفسير ابن أبي حاتم (62/1).

¹³³ مجموع الفتاوى (46/1) بتصرف.

الشرك يُطلق على صرف العبادة لغير الله؛ والكفر على جحد الحق.

فبينهما عموم وخصوص، فكل مشرك كافر، وليس كل كافر مشرك.

فدل على إن الكفر أعم من الشرك، قال تعالى: **{لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين}**¹³⁴، فعطف على أهل الكتاب المشركين، والعطف يقتضي الفرق والمغايرة.

ومن الأدلة على أن الكفر أعم: أنه قد يوجد من لا يؤمن بالله إطلاقاً، فهو يعبد ما يحلو له من المخلوقات أو يعبد هواه والعياذ بالله، أو يجحد وجود الإله كالملاحدة والدهريين فهؤلاء كفار وليسوا مشركين، لأنهم لم يؤمنوا بالله وأشركوا معه غيره.

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(بين الرجل وبين**

¹³⁴ سورة البينة الآية <1>.

الشرك والكفر ترك الصلاة¹³⁵، ففي ظاهر هذا الحديث بيان أن تارك الصلاة يسمى كافراً ومشركاً، ولكن هذا فيمن تركها جاحداً لوجوبها لأن الكفر كما تقدم هو الجحود.

ومنهم من قال الكفر والشرك اسمان لمسمى واحد، واستدلوا بقوله تعالى: **{قال ما أظن أن تبديد هذه أبداً* وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً}**¹³⁶، ثم قال: **{ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً}**¹³⁷، وجه الدلالة أن هذه الأشياء كلها كفر، ومع هذا قال: **{يا ليتني لم أشرك}**.

واعترض عليه: بأن وصفه للجنة بالدوام شرك أكبر، إذ لا يوصف بالدوام إلا الله.

¹³⁵ صحيح مسلم (82) كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة.

¹³⁶ سورة الكهف الآيات <35-36>.

¹³⁷ سورة الكهف الآية <42>.

واستدلوا بقوله تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}¹³⁸، وجه الدلالة أن التفريق بين الشرك والكفر يلزم منه أن الكفر يُغفر.

واعترض عليه: بأن الشرك دون الكفر، فالكفر أعظم من الشرك، ولذا فمن جحد وجود الرب سبحانه فقد كفر، وجوده للرب أعظم من الشرك، فمن أدلة عدم غفران الشرك لزوم عدم غفران الكفر من باب أولى. والله أعلم.

الفرق بين الكفر الأكبر والأصغر:

- 1- الأكبر مخرج من الملة، والأصغر لا يخرج من الملة.
- 2- الأكبر يحبط جميع الاعمال، والأصغر لا يحبط جميع الأعمال.
- 3- الأكبر يحل الدم والمال، والأصغر لا يحل الدم والمال.

¹³⁸ سورة النساء الآية <48>.

4-الأكبر إذا مات صاحبه عليه دخل النار خالداً مخلداً فيها، والأصغر لا يخلد في النار.

ولنختم هذا الناقض بقول العلامة ابن القيم -رحمه الله-:

فمن قال: إن الشرك إنما صار شركاً بعد النهي، وليس شركاً قبل ذلك.

فمعلومٌ أن هذا مكابرةٌ صريحةٌ للعقل والفطرة، فالظلم ظلم في نفسه قبل النهي وبعده، والقبيح قبيح في نفسه قبل النهي وبعده، والفاحشة كذلك، وكذلك الشرك، لا أن هذه الحقائق صارت بالشرع كذلك.

فالشارع كساها بنهيها عنها قبحاً إلى قبحها، فكان قبحها من ذاتها، وازدادت قبحاً عند العقل بنهي الرب تعالى عنها وذمه لها، وإخباره ببغضها وبغض فاعلها.

بل من أعلام نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- أنه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث.

فلو كان كونه معروفًا ومُنكرًا وخبيثًا وطيبًا إنما هو لتعلق الأمر والنهي والحل والتحريم به، لكان بمنزلة أن يُقال: يأمرهم بما يأمرهم به، وينهاهم عما ينهاهم عنه، ويحل لهم ما يحل لهم، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم! وأيُّ فائدةٍ في هذا؟ وأيُّ علمٍ يبقى فيه لنبوته؟ وكلام الله يُصانُ عن ذلك، وأن يُظن به ذلك، وإنما المدح والثناء والعلم الدالُّ على نبوته أن ما يأمر به تشهد العقول الصحيحة حُسْنُهُ وكونه معروفًا، وما ينهى عنه تشهد قبحُهُ وكونه منكرًا، وما يُحِلُّه تشهد كونه طيبًا، وما يحرمه تشهد كونه خبيثًا، وهذه دعوة جميع الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم-¹³⁹. ا.هـ

¹³⁹ مدارج السالكين (250/1).

**الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم، ويسألهم
الشفاعة، ويتوكل عليهم؛ كفر إجماعاً.**

الوسائط جمع واسطة، والواو والسين والطاء يدل في أصله على
العدل والنصف، والمشرک يجعل من الموتى أو الاحجار أو
الاشجار أو الكواكب وسائط بينه وبين الله.

والدعاء: الدال والعين والواو أصل صحيح، وألفه منقلبة عن
واو، وترسم ألفه ممدودة لا مقصورة، والدُّعاء مصدر دَعَا يدعو،
من قولك: دعوتُ الشيءَ أدعوه دُعاءً، فأقاموا المصدر مقام
الاسم، وهو ما يُدعى به الله من القول، رغبة إليه.

ومنه قول عنترَةَ: [من بحر الكامل]

يدعون عنتر، والرماح كأنها أشطانُ بئرٍ في لبانِ الأدهم.

معناه يقولون: يا عنتر.

فكيف تدعو ميتاً غائباً كدعاء حيٍّ حاضر، وتقول: يا سيدي فلان،
ويا مولاي فلان؟!

والدعاء كله عبادة، وهو على قسمين:

القسم الاول: دعاء ثناء وعبادة، كسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

القسم الثاني: دعاء سؤال وطلب: كافعل لي كذا، ولا تفعل لي كذا.

والشفاعة: مصدر شفع يشفع، والشين والفاء والعين أصل صحيح يدل في الأصل: على مقارنة الشيئين، والشفع ضد الوتر. واصطلاحًا: هي التوسط للغير بجلب نفع أو دفع ضرر.

والمؤلف يقصد دعاء الأموات كدعاء الأحياء الحاضرين، وأن يطلب منهم الوساطة بينه وبين الله في تحقيق نفع أو دفع ضرر.

قال: (ويسألهم الشفاعة)

المؤلف -رحمه الله- يقصد الشفاعة المتعلقة بالآخرة كطلب المغفرة والتجاوز عن الذنوب.

والشفاعة في الكتاب والسنة شفاعتان:

الأولى مثبتة: وهي التي تطلب من الله، كما في قوله تعالى: {قل لله الشفاعة جميعاً} ¹⁴⁰، ولا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص، وتتحقق بأمرين:

الأول: رضا الرب عن المشفوع له؛ كما قال تعالى: {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى} ¹⁴¹، وقال سبحانه: {وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى} ¹⁴²، وذلك من ارتضى الله قوله وعمله، وهو لا يرتضى إلا قول وعمل الموحدين المخلصين، لا المشركين الكافرين.

قال أبو هريرة -رضي الله عنه- لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: (من قال: لا إله إلا الله؛ خالصاً من قبل نفسه) ¹⁴³.

¹⁴⁰ سورة الزمر الآية <44>.

¹⁴¹ سورة الأنبياء الآية <28>.

¹⁴² سورة النجم الآية <26>.

¹⁴³ صحيح البخاري (6570) كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

الثاني: إذن الله للشافع، كما قال تعالى: {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}¹⁴⁴، وقال سبحانه: {ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له}¹⁴⁵.

الثانية منفية: وهي التي تطلب من غير الله سبحانه وتعالى، فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ قال تعالى: {ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون}¹⁴⁶.

وتنقسم الشفاعة في الآخرة الى شفاعتين:

الأولى: خاصة: وهي التي تكون للرسول -صلى الله عليه وسلم- وتكون كذلك لأناس معينين يشفع لهم، وهي ثلاثة أقسام:

الأول: الشفاعة الكبرى: وهي خاصة بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، وذلك عندما يؤخر الله سبحانه وتعالى محاسبة العباد،

¹⁴⁴ سورة البقرة الآية <255>.

¹⁴⁵ سورة سبأ الآية <23>.

¹⁴⁶ سورة البقرة الآية <254>.

فيأتي الناس إلى الأنبياء وكل واحد منهم يقول: (نفسى نفسى) (نفسى اذهبوا إلى غيري)، حتى تصل إلى نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- فيقوم فيشفع للناس عند ربه عز وجل، وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- في الحديث الطويل ما يدل على هذا¹⁴⁷، وجاء في صحيح البخاري من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- (أن الناس يصيرون يوم القيامة جُثًا، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود)¹⁴⁸.

الثاني: الشفاعة لأهل الجنة دخول الجنة: لما روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال

¹⁴⁷ صحيح البخاري (3340-4712) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: {إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم} سورة نوح الآية <1>، وكتاب تفسير القرآن، باب: {ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا} سورة الإسراء الآية <3>؛ وصحيح مسلم (194) كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

¹⁴⁸ صحيح البخاري (4718) كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا} سورة الإسراء الآية <79>.

رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:(**آتي باب الجنة يوم القيامة فأسفّتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك**)¹⁴⁹.

الثالث: شفاعته لعمه أبي طالب: لما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: (**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه**)¹⁵⁰، وفيه بيان: أن أبا طالب مات كافرًا فالشفاعة له تكون لتخفيف العذاب عنه، وليس بأن يخرج من النار.

الثانية: عامة: وهي التي تكون للرسول -صلى الله عليه وسلم- ولجميع المؤمنين، وهي خمسة أقسام:

¹⁴⁹ صحيح مسلم (197) كتاب الإيمان، باب في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (**أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا**).
¹⁵⁰ صحيح البخاري (3885) كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب؛ وصحيح مسلم (210) كتاب الإيمان، باب شفاعاة النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه.

الأول: الشفاعة لأناس من أهل الإيمان قد استحقوا الجنة: بأن يزدادوا رفعة ودرجات في الجنة، كما جاء في صحيح مسلم عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دعا لأبي سلمة -رضي الله عنه- فقال: (اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه)¹⁵¹.

الثاني: الشفاعة لأناس قد استحقوا النار في أن لا يدخلوها: روى الإمام مسلم -رحمه الله- في صحيحه من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه)¹⁵².

الثالث: الشفاعة لأناس قد دخلوا النار أن يخرجوا منها: لما روى الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه من حديث عمران بن حصين -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

¹⁵¹ صحيح مسلم (920) كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر.

¹⁵² صحيح مسلم (948) كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفّعوا فيه.

(يخرج قوم من النار بشفاعة محمد -صلى الله عليه وسلم-
فيدخلون الجنة يُسمَّونَ الجهنميين)¹⁵³.

وروى الإمام مسلم -رحمه الله- في صحيحه من حديث أبي سعيد
الخدري -رضي الله عنه- أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال:
(فو الذي نفسي بيده، ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في
استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في
النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون،
فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار
فيخرجون خلقًا كثيرًا،... فيقول الله عز وجل: (شفعت الملائكة،
وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين،
فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط)
الحديث¹⁵⁴.

¹⁵³ صحيح البخاري (6566) كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

¹⁵⁴ صحيح مسلم (183) كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

الرابع: الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم مع سيئاتهم حتى يدخلوا الجنة: وذلك لما روى الإمام مسلم -رحمه الله- عن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه).**

الخامس: الشفاعة في دخول من لا حساب عليهم الجنة من الباب الأيمن: لما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوماً بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، ثم ساق الحديث إلى أن قال: **(فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب)**¹⁵⁵.

والمؤلف -رحمه الله- يقصد بالشفاعة هنا: الطلب من المخلوقين بعد وفاتهم أن يشفعوا عند الله، واتخاذهم واسطة بينهم وبين الله،

¹⁵⁵ صحيح البخاري (4712) كتاب التفسير؛ وصحيح مسلم (194) كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

وهذا شرك وكفر، لأن الميت لا يقدر على نفع نفسه فكيف بنفع غيره.

ولكنها وردت أعمال موجبة لشفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- مثل: ما روى البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، إلا حلت له الشفاعة)**¹⁵⁶.

وروى أيضًا من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قيل يارسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك لما رأيت من حرصك على**

¹⁵⁶ صحيح البخاري (614-4719) كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، وفي كتاب تفسير القرآن.

الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال: (لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه)¹⁵⁷.

وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا يثبت أحد على لأواء المدينة وجدها إلا كنتُ له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة)¹⁵⁸.

وروى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (من استطاع أن يموت في المدينة فليمت بها فإنني أشفع لمن يموت بها)¹⁵⁹.

¹⁵⁷ صحيح البخاري (99) كتاب العلم، باب الحرص على الحديث.

¹⁵⁸ صحيح مسلم (1378) كتاب الحج، باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها.

¹⁵⁹ المسند (5437-5818)؛ وجامع الترمذي (3917) أبواب المناقب، باب ما جاء في فضل المدينة، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب؛ والسنن لابن ماجه (3112) أبواب المناسك، باب فضل المدينة.

وروى أبوداود في سننه من حديث أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته)**¹⁶⁰.

فهذه الأعمال سبب لشفاعته النبي -صلى الله عليه وسلم-، وننصح بمطالعة كتاب **"الشفاعة"** للشيخ المحدث مقبل الوداعي -رحمه الله- فقد جمع أحاديث الشفاعه، وهو عمدة في الباب.

قال: (ويتوكل عليهم)

والتوكل: الواو والكاف واللام في أصله صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك؛ فيكون التوكل: إظهار العجز في الأمر والاعتماد على الغير؛ ولا ينبغي أن تجعل أكثر اعتمادك على الأسباب إذ هذا نقص في التوكل، كما لا ينبغي لك أن تجعل اعتمادك على الله ملغياً للأسباب لأن هذا قدح في حكمة الله، فقد

¹⁶⁰ السنن (2522) كتاب الجهاد، باب في الشهيد يشفع، قال: حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا يحيى بن حسان، حدثنا الوليد بن رباح الزماري، حدثني عمي نمران بن عتبة الزماري، قال: دخلنا على أم الدرداء ونحن أيتام، فقالت: أبشروا فإني سمعت أبا الدرداء يقول: به.

الحديث إسناده حسن: فيه نمران بن عتبة الزماري وثقه ابن حبان وهو صدوق.

جعل الله لكل شيء سببًا، والله له الحكمة البالغة في ربط الأسباب بمسبباتها.

وهذا الناقض الثاني؛ هو نوعٌ من أنواع الناقض الأول، فهو نوع من أنواع الشرك، وإنما أفردَه لكثرة وقوعه في زمنه وبعده؛ وهو يقع كثيرًا ممن يدعون الإسلام، من القبوريين، الذين يتقربون إلى الأولياء الأموات ليشفعوا لهم عند الله، أو يوصلوا حوائجهم إليه، ويقولون: لا بد لنا من ناس صالحين وأولياء مباركين، نستشفع بهم إلى الله فيشفعوا لنا؛ فتراهم يدعون القبور والأضرحة دعاء الخائف الذليل والمرتجي الوجل، ليدفعوا عنهم الملمات، ويكشفوا عنهم الكربات؛ فيقعون في الشرك ويخلعون ربقة الإسلام من اعناقهم.

وسواء كان صاحب هذا القبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أو غيره من الأنبياء والأولياء؛ فتجدهم يقولون: يا محمد أغثني، أو يا رسول الله المدد المدد، أو يا مولاي الولي الفلاني نظرة منك، وعطف منك علينا؛ ونحو ذلك.

وكذلك لو دعى أي مخلوق من مخلوقات الله كالملائكة أو الجن أو الشمس أو القمر وجعلهم بينه وبين الله وسائط، لكي يستشفع بهم عنده.

ولا يلزم من ذلك الذبح لهم والنذر لهم والطواف عليهم؛ ولكنه التعظيم للأموات وأهل القبور.

فإن قالوا: هؤلاء جهال معذورون بالجهل.

قلنا: إلى متى الجهل؟ والقرآن يُتلى وهم يحفظونه ويقرءونه! لقد قامت عليهم الحجة ببلوغ القرآن، {وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ}¹⁶¹، كل من بلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة ولا عذر له؛ خاصة من كان في بلاد المسلمين فالعلم ميسر وسبل البحث متوفرة.

فإن قالوا: هؤلاء على الفطرة.

¹⁶¹ سورة الأنعام الآية <19>.

قلنا: الفطرة لو تركت لكانت فطرة الإسلام، ولكنها لم تترك، ومن أجل هذا فالفطرة ليست دليل ولا حجة، حتى يعضدها دليلٌ سمعي، لأن الله قد أنزل الكتب وأرسل الرسل وسن الشرائع، وذلك لأجل لا يكون بعدها للناس حجة؛ فانكشفت هذه الشبهة والمغالطة.

فإن قالوا: هم شفعائنا عند الله.

قلنا: الشفاعة شفاعتان:

الأولى: مثبتة وهي التي تطلب من الله وتتحقق بأمرين:

الأول: رضا الله عن المشفوع له.

الثاني: إذن الله للشافع.

الثانية: منفية وهي التي تطلب من غير الله.

وقد تقدم أول شرح هذا الناقض الكلام على الشفاعة مع ذكر الأدلة فراجع.

فإن قالوا: نحن لا نعتقد فيهم النفع والضرر وإنما هي وسائط.

قلنا: هذا نفس ما قاله المشركون الأولون، فليس العلة في الشرك الأول أنهم اعتقدوا فيهم النفع والضرر، بل العلة أنهم اتخذوها وسائط وصرفوا لها العبادة، فالذي فعله أولئك وقصده أولئك هو الذي قصده الآن عباد القبور والأضرحة، وزادوا عليهم -وإن كابرُوا- بأن هذه الوسائط تنفع وتضرر، وتصرف الكون، وتدبر أمور العالم، فكانوا بهذا الاعتقاد أقبح من المشركين الأولين في شركهم.

فإن قالوا: قول الكفار: {هؤلاء شفعاؤنا عند الله}، أو {إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى}، إنما قالوه كذبًا من باب التقية لمحمد -صلى الله عليه وسلم-، وإلا فهم لا يؤمنون بوجود الله تعالى، ولو آمنوا بوجود الله لكانوا موحدين.

قلنا: الأدلة الدالة على إيمانهم بربوبية الله في القرآن الكريم كثيرة، منها قوله تعالى: {فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين} 162، فأين التقية هنا؟!

162 سورة العنكبوت الآية <65>.

مع أنهم لم يكونوا يخافون من النبي -صلى الله عليه وسلم-!

فإن قالوا: إنما قالوها انقطاعاً عن الحُجة لا اعتقاداً.

قلنا: قد أخبر الله أنهم يقولون ذلك، ولم يكذبهم بأنهم يقولون ما لا يعتقدون، بل كذبهم في زعمهم أن الله جعلهم شفعاء لديه يقربون إلى الله زلفى، وأخبر أنه لم يشرع ذلك ولم يرضَ به.

فإن قالوا: نحن اتخذنا الوسائط بيننا وبين الله من باب التعظيم، فإن الله عظيم ولا يتوصل إليه إلا بالوسائط.

قلنا: لا تقيسوا رب العالمين، مالك الملك، من بيده كل شيء، وهو على كل شيء قدير، بالعبد المخلوق الضعيف، الذي ليس بيده لا خلق ولا رزق ولا نفع ولا ضرر.

ثم إن الملوك في الدنيا لضعفهم وخوفهم يحتجبون ويجعلون الوصول إليهم صعب وعسير: إما لأنهم لا يُريدون النفع والبذل لمن تحت سلطتهم، وذلك لخوفهم الفقر؛ أو من أجل خوفهم على أنفسهم، ولكي يُعظمون أمام قومهم.

وأما الله جل جلاله فقد أمر عباده بدعوته مباشرة وأخبرهم أنه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، فلماذا يطرقون باباً آخر غير الذي أمرهم الله به.

فإن قالوا: هم وسيلة لنا إلى الله، كما للملوك وسائل ووسائلهم. **قلنا:** تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، أتشبهون المخلوق بالخالق، والناقص بالكامل، والعاجز بالقادر، والضعيف بالقوي، إنها لإحدى الكبر.

وهذا الزعم منكم لا يصح، وإنما هو شرك صريح، وكفر واضح؛ وإن كابرتم وحاولتم المغالطة على الأتباع العوام لأجل مصالحكم الدنيوية.

فالواسطة بين الله وبين عباده نوعان:

الأولى: واسطة حق: وهي أن الله -سبحانه وتعالى- جعل بينه وبين عباده واسطة في تبليغ شرعه وهم الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- قال تعالى: **{الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن**

الناس{¹⁶³، فهؤلاء الذين اصطفى الله هم واسطة بيننا وبين الله في تبليغ الرسالة، ولا طريق للعباد إلى معرفة ربهم ومعرفة دينه وشرعه إلا عن طريق رسله، ومن اعتقد أنه يستغني عن هذه الواسطة في معرفة ربه ومعرفة دينه؛ فهو كافر.

والثانية: واسطة باطل: وهي أن يجعل العبد بينه وبين الله واسطة، فيطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، ويستشفع بهم عند الله؛ وهذه واسطة في العبادة، والله لم يجعل بينه وبين خلقه واسطة في العبادة، فهي واسطة شرك وباطل، وليست بنافعة للعبد مطلقاً، قال تعالى: **{له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال}**¹⁶⁴، وقال عز وجل: **{ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون* وإذا حشر الناس كانوا لهم**

¹⁶³ سورة الحج الآية <75>.

¹⁶⁴ سورة الرعد <14>.

أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين¹⁶⁵، وقال جل وعلا: {ذلکم الله ربکم له الملك والذین تدعون من دونه ما یملکون من قطمیر* إن تدعوهم لا یسمعوأ دعاءکم ولو سمعوا ما استجابوا لکم ویوم القيامة یکفرون بشرکم ولا ینبئک مثل خبیر¹⁶⁶؛ وهذه الوسائط التي يجعلونها بينهم وبين الله فيسألونهم الشفاعة ويدعونهم ويتوکلون علیهم هي مقصود المؤلف -رحمه الله- ومن اثبتها فهو کافر بالإجماع.

ثم إن هذه هي حجة المشركين الأولين، كما قال تعالى: {ويعبدون من دون الله ما لا یضرهم ولا ینفعهم ویقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله¹⁶⁷، وقال سبحانه: {والذین اتخذوا من دونه أولیاء ما نعبدهم إلا لیقربونا إلى الله زلفی¹⁶⁸، وقال تبارک وتعالى: {قل ادعوا الذین زعمتم من دونه فلا یملکون کشف الضر عنکم ولا تحویلا* أولئک الذین یدعون یتتغون إلى ربهم الوسيلة أیهم أقرب

¹⁶⁵ سورة الأحقاف الآيات <5-6>.

¹⁶⁶ سورة فاطر الآيات <13-14>.

¹⁶⁷ سورة یونس الآية <18>.

¹⁶⁸ سورة الزمر الآية <3>.

ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان
 محذورا¹⁶⁹، وقال عز وجل: {ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
 ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين* وإن يمسسك الله
 بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يُردك بخير فلا راد لفضله يصيب
 به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم¹⁷⁰، وقال جل وعلا:
 {قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في
 السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم
 من ظهير* ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له¹⁷¹، وقال
 جلت قدرته: {قل أفرءيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله
 بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات
 رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون¹⁷².

فدعواكم مردودة لمناقضة الفعل القول، وحجتكم مدحوضة؛ إذ
 الله سبحانه ما أنزل الكتب وأرسل الرسل إلا ليعبد وحده لا شريك

¹⁶⁹ سورة الإسراء الآيات <56-57>.

¹⁷⁰ سورة يونس الآيات <106-107>.

¹⁷¹ سورة سبأ الآيات <22-23>.

¹⁷² سورة الزمر الآية <38>.

له؛ ثم كما قدمنا في شرح الناقض الأول، لا يحتاج لواسطة وشفاعة، فهو قريب مجيب، يجيب الدعاء ويقبل التوبة.

ثم الله قد سمي هذا الفعل شركًا، فقال تعالى: {ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون} ¹⁷³.

فليس الشرك عبادة الأوثان والأصنام فقط، وإنما هي نوع من أنواع عبادة غير الله؛ وإلا فصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله فهو شرك، سواء صرفتها لملك مقرب أو لنبي مرسل أو لحجر أو لشجر أو لقبر أو لضريح، لا فرق.

لأن الله تفرد بالخلق والرزق والتدبير والإلهية، فلا بد كذلك أن يُفرد بالعبادة، فلا يعبد معه أحدًا من خلقه كائنًا من كان.

أما من زاد على ذلك ما هو أعظم وأشد: بأن عبد القبور والأضرحة والجن والشياطين، وتقرب إليهم، معتقدًا أنهم يدبرون

¹⁷³ سورة يونس الآية <18>.

هذا الكون، وينفعون أو يضررون؛ فقد جمع بين نوعي الشرك في الربوبية والإلهية -والعياذ بالله-.

فالربوبية باعتقاده تدبيرهم للكون وأن بيدهم النفع أو الضرر؛ والإلهية بصرف أنواع العبادة لهم من الذبح والدعاء والطواف تقرباً إليهم.

فإن قالوا: ليسوا إلا واسطة للتوسل، وقد قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون}¹⁷⁴، وقال سبحانه: **{أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا}**¹⁷⁵، وقد فُسرَّت الوسيلة: بأن تجعل بينك وبين الله واسطة.

¹⁷⁴ سورة المائدة الآية <35>.

¹⁷⁵ سورة الإسراء الآية <57>.

قلنا: أثبت عرشك ثم أنقش، فالمفسرين إنما فسروا الوسيلة بأنها الطاعة والتقرب إلى الله بعبادته وحده لا شريك له¹⁷⁶.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- بعد أن ساق الآيتين من سورة الإسراء:

بَيَّنَ جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن المعبودين من دون الله الذين زعم الكفار أنهم يُقَرَّبونهم إلى الله زُلفى، ويشفعون لهم عنده لا يملكون كشف الضُّرِّ عن عابديهم، أي: إزالة المكروه عنهم، ولا تحويلا، أي: تحويله من إنسان إلى آخر، أو تحويل المرض إلى الصحة، والفقر إلى الغنى، والقحط إلى الجذب، ونحو ذلك.

ثم بَيَّنَ فيها -أيضًا- أن المعبودين الذين عبدتهم الكفار من دون الله، يتقربون إلى الله بطاعته، ويبتغون الوسيلة إليه، أي: الطريق

¹⁷⁶ انظر: جامع البيان (475-472/17)، ومعالم التنزيل (139/3)، والجامع لأحكام القرآن (279/10).

إلى رضاؤه ونيل ما عنده من الثواب بطاعته، فكان الواجب عليكم أن تكونوا مثلهم¹⁷⁷. ا.هـ

وقال العلامة السعدي - رحمه الله -:

أخبر تعالى أن الذين يعبدونهم من دون الله في شغل شاغل عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى الله، وابتغاء الوسيلة إليه، فقال: **{أولئك الذين يدعون}** من الأنبياء والصالحين والملائكة **{يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب}** أي: يتنافسون في القرب من ربهم ويبذلون ما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى وإلى رحمته، ويخافون عذابه فيجتنبون كل ما يوصل إلى العذاب¹⁷⁸. ا.هـ

وقد بينا كما تقدم، إن الملوك في الدنيا لضعفهم وخوفهم يحتجبون ويجعلون الوصول إليهم صعب وعسير: إما لأنهم لا يريدون

¹⁷⁷ أضواء البيان (162/3).

¹⁷⁸ تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان (460).

النفع والبذل لمن تحت سلطتهم، وذلك لخوفهم الفقر؛ أو من أجل خوفهم على أنفسهم، ولكي يُعظمون أمام قومهم.

وأما الله جل جلاله فقد أمر عباده بدعوته مباشرة وأخبرهم أنه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، فلماذا يطرقون بابًا آخر غير الذي أمرهم الله به.

فإن قالوا: هؤلاء رجال صالحون، ومكانتهم عظيمة عند الله، فنحن نسأل منهم الشفاعة، ونطلبها لأننا مذبذبون.

قلنا: صلاح الآخرين وعملهم لأنفسهم، وليس لك منه شيء ولا ينفعك إلا عملك فاستيقظ.

فإن قالوا: توسل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بالعباس -رضي الله عنه- فقد روى الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- **(كان إذا قحطوا استسقى بالعباس**

بن عبدالمطلب -رضي الله عنه-، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك
بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيُسَقُونَ¹⁷⁹.

قلنا: التوسل الجائز له ثلاث صور:

الصورة الأولى: التوسل بأسماء الله وصفاته، قال تعالى: {والله
الأسماء الحسنى فادعوه بها}¹⁸⁰.

الصورة الثانية: التوسل بالإيمان والعمل الصالح، قال تعالى:
{ربنا إنا سمعنا مُناديًّا يُنادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنَّا}¹⁸¹،
فيها التوسل بالإيمان؛ وعن بريدة -رضي الله عنه- قال: سمع
النبي -صلى الله عليه وسلم- رجلاً يقول: (اللهم إني أسألك أنك
أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم
يكن له كفوًا أحد، فقال: "لقد سأل الله باسمه الذي إذا سئل به

¹⁷⁹ صحيح البخاري (1010) أبواب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا.

¹⁸⁰ سورة الأعراف الآية <180>.

¹⁸¹ سورة آل عمران الآية <193>.

أعطى، وإذا دُعي به أجاب"¹⁸²، فيه التوسل بالتوحيد والاسماء الحسنى؛ ومنه: توسل أصحاب الغار الذين وقعت عليهم الصخرة، توسلوا بصالح أعمالهم.

الصورة الثالثة: التوسل بدعاء الحي الصالح الحاضر، كتوسل عمر -رضي الله عنه- بالعباس -رضي الله عنه-.

فتنبين لنا أن عمر -رضي الله عنه- توسل بدعاء العباس -رضي الله عنه- وهو حيٌّ حاضر، لا بمقامه ولا بجاهه، ولا بمن هو أشرف وأطهر وأزكى منه بعد موته -عليه الصلاة والسلام-؛ فدل هذا على أنه يعلم هو والصحابة الكرام أن التوسل بالأموات لا يجوز، وأن ذلك دعاء لهم وطلب منهم فيما لا يقدرُونَ عليه.

¹⁸² رواه الإمام أحمد في مسنده (22965)؛ وأبو داود (1493) كتاب الصلاة، أبواب فضائل القرآن؛ والنسائي في الكبرى (7619) كتاب النعوت؛ والترمذي (3475) أبواب الدعوات، باب جامع الدعوات عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقال: هذا حديث حسن غريب؛ وابن ماجه (3857) أبواب الدعاء، باب اسم الله الأعظم؛ وابن حبان في الصحيح (891)، كلهم من طريق يحيى بن سعيد القطان، عن مالك بن مغول، عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه، به.
ألا الترمذي فعن زيد بن الحباب، عن مالك؛ وابن ماجه عن وكيع، عن مالك. والحديث إسناده صحيح.

وذلك لأن التوسل الممنوع هو التوسل بذات الشخص أو بجاهه أو بحقه.

أما التوسل بدعائه فمن التوسل الجائز، فقد جاء في الصحيحين من حديث أنس -رضي الله عنه- قال: (جاء أعرابي والنبي -صلى الله عليه وسلم- يخطب الجمعة فقال: يا رسول الله: هلك المال وجاع العيال وانقطعت السبل فادع الله لنا، فدعا لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- فسقوا، فلما كانت الجمعة الأخرى جاءه الأعرابي فقال: يا رسول الله: تهدم البناء وهلك المواشي وغرق المال فادع الله لنا، فدعا لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بإمساك السماء)¹⁸³ الحديث.

فإن قالوا: حديث الأعمى.

قلنا: هو حديث رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث عثمان بن حنيف، أن رجلاً ضريراً أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال:

¹⁸³ صحيح البخاري (6093) كتاب الأدب، باب التبسم والضحك؛ وصحيح مسلم (897) كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء.

يا نبي الله ادعُ الله أن يُعافيني، فقال: (إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك، وإن شئت دعوتُ لك)، قال: لا، بل ادعُ الله لي، فأمره أن يتوضأ وأن يصلي ركعتين، وأن يدعو بهذا الدعاء: (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد -صلى الله عليه وسلم- نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتُقضى وتشفعني فيه وتشفعه فيّ) الحديث¹⁸⁴، وفي آخره: ففعل الرجل فبراً.

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله-:

حديث الأعمى لا حجة لهم فيه، فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- وشفاعته، وهو طلب من النبي -صلى الله عليه وسلم- الدعاء¹⁸⁵. اهـ.

¹⁸⁴ المسند (17241)؛ وجامع الترمذي (3578)؛ والنسائي في الكبرى (10495)؛ وابن ماجه (1385)؛ والمستدرک (1180-1929) وصححه الترمذي والحاكم وشيخ الإسلام ابن تيمية في "القاعدة الجلية في التوسل والوسيلة".
¹⁸⁵ قاعدة جلية في التوسل والوسيلة (122/1).

فالمستفاد الثابت في حديث الأعمى أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أمره أن يصلي ويدعو ويطلب من الله أن يقبل شفاعته النبي -صلى الله عليه وسلم- فيه؛ والنبي -صلى الله عليه وسلم- شَفَعَ فيه ودعا له، بأن يرد الله عليه بصره؛ وكان ما زال النبي -صلى الله عليه وسلم- حيًّا حاضرًا، وهذا لا إشكال فيه فهو من جنس توصل عمر -رضي الله عنه- بدعاء العباس -رضي الله عنه-؛ فليس لكم فيها حجة.

فإن قالوا: حديث (ما من أحد يُسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أَرُد عليه السلام)¹⁸⁶.

قلنا: هذا حديث رواه الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة -رضي الله عنه- بسند حسن، وقال أهل العلم فيه بيان: أن روحه

¹⁸⁶ المسند (10815)، وقال: حدثنا عبدالله بن يزيد، حدثنا حيوة، حدثني أبو صخر، أن يزيد بن عبدالله بن قسيط أخبره، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- به؛ وأبي داود (2041) كتاب المناسك، باب في الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- وزيارة قبره؛ قال: حدثنا محمد بن عوف، به.

عبدالله بن يزيد هو المقرئ، وحيوة هو ابن شريح، وأبو صخر هو حميد بن زياد الخراط صدوق وحديثه حسن، ويزيد بن عبدالله بن قسيط الليثي المدني ثقة.

الشريفة -صلى الله عليه وسلم- ليست دائمة في بدنه داخل قبره، وإنما هي في أعلى عليين، ولها اتصال بالجسد الشريف، والله أعلم بحقيقة ذلك.

قال العلامة ابن عبدالهادي -رحمه الله-:

وهذه الإعادة ليست مستلزمة لإثبات حياة مزيلة لاسم الموت، بل هي أنواع حياة برزخية، والحياة جنس تحتها أنواع، وكذلك الموت، فإثبات بعض الحياة لا يزيل اسم الموت، كالحياة البرزخية وإثبات بعض أنواع الموت لا ينافي الحياة.

ثم قال: رد الروح على الميت في البرزخ، ورد السلام على من يسلم عليه لا يستلزم الحياة التي يظنها بعض الغالطين، وإن كان نوع حياة برزخية، وقول من زعم أنها نظير الحياة المعهودة مخالف للمنقول والمعقول، ويلزم منه مفارقة الروح للرفيق الأعلى، وحصولها تحت التراب قرناً بعد قرن، والبدن حي مدرك سميع بصير تحت أطبقا التراب والحجارة، ولوازم هذا باطلة مما لا يخفى على العقلاء.

وبهذا يعلم بطلان تأويل قوله: (إلا رد الله علي روعي)، بأن معناه: إلا وقد رد الله علي روعي، وإن ذلك الرد مستمر، وأحياءه الله قبل يوم النشور، وأقره تحت التراب واللين؛ فيا ليت شعري هل فارقت روحه الكريمة الرفيق الأعلى؟ واتخذت بيت تحت الأرض مع البدن! أم الحال الواحد في المكانين؟

ثم قال: وقول أهل السنة من الفقهاء المحدثين وغيرهم: أن الروح ذات قائمة بنفسها لها صفات تقوم بها، وإنها تفارق البدن وتصعد وتنزل وتقبض وتنعم وتعذب وتدخل وتخرج وتذهب وتجيء وتسأل وتحاسب ويقبضها الملك ويعرج بها إلى السماء ويشيعها ملائكة السماوات إن كانت طيبة، وإن كانت خبيثة طرحت طرحًا، وأنها تحس وتدرك وتأكل وتشرب في البرزخ من الجنة، كما دلت عليه السنة الصحيحة في أرواح الشهداء خصوصًا، والمؤمنين عمومًا، ومع هذا فلها شأن آخر غير شأن البدن، فإنها تكون في الملاء الأعلى فوق السماوات، وقد تعلق بالبدن تعلقًا يقتضي رد السلام على من سلم عليه، وهي مستقرها في عليين مع الرفيق الأعلى.

وقد مر النبي -صلى الله عليه وسلم- ليلة الإسراء على موسى - عليه السلام- قائمًا يُصلي في قبره، ثم رآه في السماء السادسة، ولا ريب أن موسى -عليه السلام- لم يرفع من قبره تلك الليلة لا هو ولا غيره من الأنبياء الذين رآهم في السماوات، وإنما رآهم النبي -صلى الله عليه وسلم- ليلة الإسراء في منازلهم التي كانوا فيها من حين رفعهم الله سبحانه إليها، ولم تكن صلاة موسى - عليه السلام- في قبره بموجبة مفارقة روحه للسماء السادسة وحلولها في القبر، بل هي في مستقرها ولها تعلق بالبدن قوي حتى حمله على الصلاة.

وإذا كان النائم تقوى نفسه وفعلها في حال النوم حتى تحرك البدن وتقيمه وتؤثر فيه، فما الظن بأرواح الأنبياء؟

إلى قوله:

فهذه روح النائم متعلقة ببدنه وهي في السماء تحت العرش، وتُردُّ إلى البدن في أقصر وقت، فروح النائم مستقرها البدن تصعد حتى تبلغ السماء، وترى ما هنالك ولم تفارق البدن فراقًا كليًا،

وعكسه أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء مستقرها في عليين وترد إلى البدن أحياناً، ولم تفارق مستقرها، ومن لم ينشرح صدره لفهم هذا والتصديق به، فلا يبادر إلى رده وإنكاره بغير علم؛ فإن للأرواح شأنًا آخر غير شأن الأبدان.

وقد صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)¹⁸⁷، وهذا قرب الروح نفسها من الرب ولم تفارق البدن، والرب تعالى فوق سماواته على عرشه¹⁸⁸. اهـ.

والروح لها تعلق بالبدن في حالات:

كتعلقها ببدن الحي يقظةً ومنامًا، وببدن الميت في قبره أحيانًا - مثل: جواب سؤال الملكين-، وتعلقها بالبدن يوم القيامة.

¹⁸⁷ رواه الإمام مسلم في صحيحه (482) كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود.

¹⁸⁸ الصارم المنكي (223-229) بتصرف.

ومع هذا فالنائم وروحه في بدنه وما زال حيًّا إلا إن حياته أنقص من حياة المستيقظ، لأن النوم هو الموتة الصغرى، وإذا كان لا يصح قياس النائم وهو حي حياة حقيقية بالمستيقظ، فكيف يقاس الميت الحي حياة برزخية بالحي المستيقظ؟!

وعن كعب بن مالك -مرفوعًا-: **(إنما نسمة المسلم طيرٌ تَعْلُقُ في شجر الجنة حتى يُرجعها الله عز وجل إلى جسده يوم القيامة)** رواه الإمام أحمد¹⁸⁹.

وفي حديث البراء الطويل: **(وتعاد روحه في جسده)** رواه أحمد وأبو داود¹⁹⁰.

ومن هذه الإعادة لإعادة لسؤال الملكين ثم ترفع.

ويؤيد هذا حديث ابن مسعود في صحيح مسلم عن الشهداء قال: **(أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح**

189 المسند (15776).

190 المسند (18534)؛ وسنن أبي داود (4753) كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر.

من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعه فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا¹⁹¹.

وفي المسند وأبي داود عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم، وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا، لنألا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل: {أنا أبلغهم

¹⁹¹ صحيح مسلم (1887) كتاب الإمامة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

عنكم} فأنزل الله عز وجل: هؤلاء الآيات على رسوله: {ولا تحسبن الذين قتلوا} إلى آخر الآية¹⁹².

في هذه الأحاديث إن الأرواح للأولياء حيّة منعمة ولكن لا قدرة لها ولا تستطيع فعل شيء.

فإن قالوا: أن الروح تصعد وتنزل وتذهب وتجيء؛ فإذا استغثنا بالنبى أو الولى فنحن نستغيث بحى قادر؛ لأننا نستغيث بروحه وهي قادرة ولها حياة.

قلنا: الروح حية لا تموت، لكنها غير قادرة على ما زعمتم، ماتت الأجساد والأرواح موجودة، فإن كانت أرواح المؤمنين في عليين في الجنة، فإن أرواح الكفار تُعَذَّب. {النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب}¹⁹³.

¹⁹² المسند (2388) واللفظ له؛ وسنن أبي داود (2520) كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة.

¹⁹³ سورة غافر الآية <46>.

وليس في هذا حجة، فهو وهو حي يقول الله: {ليس لك من الأمر شيء} ¹⁹⁴، فكيف بعد وفاته؟! فالاستغاثة به ودعائه والنذر له بعد موته أو طلب المدد شرك بإجماع المسلمين.

ورحم الله العلامة حافظ الحكي حين قال:

ومن على القبر سراجاً أوقدا أو ابتنى على الضريح مسجدا
فإنه مُجَدِّدٌ جَهَاراً لسنن اليهود والنصارى
كم حذر المختار عن ذا ولعن فاعله كما روى أهل السنن
بل قد نهى عن ارتفاع القبر وأن يُزاد فيه فوق الشبر
وكل قبرٍ مُشْرِفٍ فقد أمر بأن يُسَوَّى هكذا صحَّ الخبر
وحذر الأُمّةَ عن إطرائه فغرَّهُم إبليسُ باستجرائه
فخالفوه جهرَةً وارتكبوا ما قد نهى عنه ولم يجتنبوا
فانظر إليهم قد غلوا وزادوا ورفعوا بناءها وشادوا

¹⁹⁴ سورة آل عمران الآية <128>.

بِالشَّيْثِ وَالْأَجْرِ وَالْأَحْجَارِ لَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ
وَاللِّقْدَائِلِ عَلَيْهَا أَوْقَدُوا وَكَمْ لَوَاءٍ فَوْقَهَا قَدْ عَقَدُوا
وَنَصَبُوا الْأَعْلَامَ وَالرَّايَاتِ وَافْتَتَنُوا بِالْأَعْظَمِ الرَّفَاتِ
بَلْ نَحَرُوا فِي سُوحِهَا النَّحَائِرِ فِعْلٌ أُولَى التَّسْيِيبِ وَالْبَحَائِرِ
وَالْتَمَسُوا الْحَاجَاتِ مِنْ مَوْتَاهُمْ وَاتَّخَذُوا إِلَهُهُمْ هَوَاهُمْ
قَدْ صَادَهُمْ إِبْلِيسُ فِي فِخَاخِهِ بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ صَارَ مِنْ أَفْرَاحِهِ
يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَبِاللِّسَانِ
فَلَيْتَ شِعْرِي مِنْ أَبَاحِ ذَلِكَ وَأَوْرَطِ الْأَمَةِ فِي الْمَهَالِكِ
فِيَا شَدِيدَ الطُّولِ وَالْإِنْعَامِ إِلَيْكَ نَشْكُو مِحْنَةَ الْإِسْلَامِ 195.

وننصح طلاب العلم بقراءة المؤلفات التي فيها بيان كشف الكثير
من الشبهات والتلبيسات، ككتاب "زيارة القبور والاستنجاد
بالمقبور" و"الجواب الباهر لزوار المقابر" و"قاعدة جليلة في

195 سلم الوصول (19-20).

التوسل والوسيلة جميعها لشيخ الإسلام ابن تيمية، و**"الكافيه الشافيه في الانتصار للفرقة الناجية"** وهي قصيدة طويلة للإمام ابن القيم، و**"الصارم المنكي في الرد على السبكي"** للعلامة ابن عبد الهادي، و**"تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد"** للإمام ابن الأمير الصنعاني، و**"كشف الشبهات في التوحيد"** للإمام المجدد المؤلف محمد بن عبد الوهاب النجدي، و**"الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد"** و**"شرح الصدور بتحريم رفع القبور"** كلاهما للإمام الشوكاني، و**"القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي"** للشقيري، وغيرها من الكتب والابحاث النافعة.

قال: (كفر إجماعاً)

والكفر: الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو السَّتْر والتَّغْطِيَة، يُقال لمن غطى دِرْعَه بثوبٍ: قد كَفَرَ دِرْعَه؛ ومنه قوله تعالى: {أعجب الكفار نباته} ¹⁹⁶، أي: الزراع، لأن الزارع يُغطي الحَبَّ بتراب الأرض.

¹⁹⁶ سورة الحديد الآية <20>.

وفي الشرع: الكفر ضد الإيمان، فيكون اعتقادًا وقولًا وعملاً وتركًا، كما أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

الكفر عدم الإيمان بالله ورسوله، سواءً كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب، أو إعراض عن هذا حسدًا أو كبرًا، أو اتباعًا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة. ١٩٧هـ.

وهذا ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، خلافاً لمن حصر الكفر في التكذيب أو الجحود بالقلب، أو بالقلب واللسان، ونفى أن يكون بالعمل أو بالترك.

والكفر كفران:

الأول: كفر أكبر، يخرج من الملة، وهو خمسة أنواع:

النوع الأول: كفر تكذيب:

¹⁹⁷ مجموع الفتاوى (335/12).

قال تعالى: {ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين} ¹⁹⁸، وليس الكفر منحصر فيه فقط كما يقول المرجئة.

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق:

قال تعالى: {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين} ¹⁹⁹.

النوع الثالث: كفر الشك أو الظن:

قال تعالى: {ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبديد هذه أبداً* وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها ثواباً وخيراً منقلباً* قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً* لکنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً} ²⁰⁰.

¹⁹⁸ سورة العنكبوت الآية <68>.

¹⁹⁹ سورة البقرة الآية <34>.

²⁰⁰ سورة الكهف الآيات <35-38>.

النوع الرابع: **كفر الإعراض:**

قال تعالى: {والذين كفروا عما أُنذروا معرضون} ²⁰¹.

النوع الخامس: **كفر النفاق:**

قال تعالى: {ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون} ²⁰².

الثاني: كفر أصغر، لا يخرج من الملة، وهو كفر النعمة.

قال تعالى: {وضرب مثلاً قريةً كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون} ²⁰³، وفي الصحيحين عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (أُرِيتُ النارَ فإذا أكثر أهلها النساء، يَكْفُرْنَ)، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: (يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى

²⁰¹ سورة الأحقاف الآية <3>.

²⁰² سورة المنافقون الآية <3>.

²⁰³ سورة النحل الآية <112>.

إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيتُ منك خيراً
(قط) 204.

وقد بَوَّب المؤلف -رحمه الله- في "كتاب الكبائر": باب ذكر
ججود النعمة.

ثم الكافر عند أهل العلم نوعان:

الأول: كافر أصلي:

كاليهودي والنصراني والبوذي والمجوسي وغيرهم من طوائف
الكفر، فهؤلاء كفرهم ظاهر جلي، ومن لم يكفرهم أو شك في
كفرهم أو صحح مذاهبهم ونحلهم فقد كفر وخرج من ملة
الإسلام.

قال تعالى: {وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يُضاهيُونَ قول الذين كفروا من قبل

²⁰⁴ صحيح البخاري (29) واللفظ له، كتاب الإيمان، باب كفران العشير وكفر دون
كفر؛ وصحيح مسلم (907) كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي -صلى الله
عليه وسلم- في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار.

قاتلهم الله أنى يؤفكون* اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يُشركون²⁰⁵.

الثاني: المرتد:

وهو من أسلم ثم وقع في موجب من موجبات الردّة والكفر يُخرجه من الإسلام.

قال العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله:-

المرتد هو من ينتسب إلى الإسلام، وقد قام به مكفر واضح، وهو أغلظ كفرًا من الكافر الأصلي²⁰⁶. اهـ.

قال: (إجماعًا)

والإجماع في اللغة: الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضام الشيء، يُقال: جمعتُ الشيءَ جمعًا.

²⁰⁵ سورة التوبة الآيات <30-31>.

²⁰⁶ فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (185/12).

وهو مصدر أَجْمَعَ، قال الحارث بن حِزَرة: [من بحر الخفيف]

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ بَلِيلٍ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءٌ.

وهو العزم والاتفاق، ومنه قوله تعالى: {فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ} ²⁰⁷، أي: اعزموه، وأجمع القوم على كذا؛ أي: اتفقوا عليه.

وفي الاصطلاح: اتفاق علماء العصر من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- بعد وفاته على أمر من أمور الدين.

ومقصود المؤلف -رحمه الله- أن هؤلاء الذين يعملون هذا العمل كفار بإجماع المسلمين.

وفي "الإقناع": من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم إجماعًا. اهـ

فقال البهوتي في "الكشاف" -شارحًا:-

²⁰⁷ سورة يونس الآية <71>.

أي: كفر، لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام قائلين: {ما نعبدهم إلا

ليقربونا إلى الله زلفى} 208. ا. هـ. 209

وهنا مسألة مهمة وهي إذا جعلوا هذه الوسائط أسبابًا تقربهم إلى الله، ولا يعبدونها ولا يدعونها ولا يذبحون ولا يندرون لها؛ فمن العلماء من جعله شركًا أكبر، ومنهم من قال ليس شركًا أكبر ولكنه وسيلة إليه، لأن حقيقة الشرك مساواة الله بغيره في شيء من خصائصه، ولأن للوسائل حكم الغايات.

208 سورة الزمر الآية <3>.

209 كشف القناع (169/6).

الثالث: من لم يُكْفِرِ المشركين، أو شكَّ في كُفْرهم، أو صحَّح مذهبهم؛ كَفَرَ إجماعًا.

من حكم الله عليه بالكفر كاليهود، قال تعالى: { ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون }²¹⁰، وقال سبحانه: { فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين }²¹¹.

والنصارى، قال تعالى: { لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار }²¹²، وقال سبحانه: { لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة }.

²¹⁰ سورة البقرة الآية <61>.

²¹¹ سورة البقرة الآية <89>.

²¹² سورة المائدة الآية <17>.

والمشركين، قال تعالى: {لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة}²¹³، وقال سبحانه: {إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية}²¹⁴.

والمرتدين، قال تعالى: {ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}²¹⁵، وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من بدل دينه فقتلوه)، فالمرتد يُقتل مرتدًا كافرًا.

فيجب على المسلم أن يقطع بكفرهم، وذلك لصحة النصوص الواضحة في تكفيرهم ودلالاتها القطعية على ذلك.

²¹³ سورة البينة الآية <1>.

²¹⁴ سورة البينة الآية <6>.

²¹⁵ سورة البقرة الآية <217>.

فمن كفره الله ورسوله وجب على كل مسلم تكفيره، والبراءة منه وبغضه وعداوته، ومن لم يفعل كفر.

ومن لم يكفر المشركين الذين يعبدون مع الله غيره، كالأحجار والأشجار والنجوم والكواكب والموتى؛ فهو كافر، لأن من لوازم التوحيد الإيمان بالله والكفر بالطاغوت.

وهذا الناقض يقع فيه الكثير من الناس، يقولون: نحن مسلمون والحمد لله، ولا نشرك بالله، ومالنا للناس!

وهذا مناقضة لعقيدة الولاء والبراء في الإسلام، قال تعالى حاكياً عن إبراهيم -عليه السلام-، لما تبرأ من أبيه وقومه: **{إني برأء مما تعبدون* إلا الذي فطرني فإنه سيهدين}**²¹⁶.

وقال: **{قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده}**²¹⁷.

²¹⁶ سورة الزخرف الآيات <26-27>.

²¹⁷ سورة الممتحنة الآية <4>.

فالإسلام قطع العلائق والصلات بين المسلم والكافر، قال تعالى:
{ لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم
أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه }²¹⁸.

وقال سبحانه: { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم
أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان }²¹⁹.

وقال عز وجل: { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق
يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم
جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم
بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل }²²⁰.

²¹⁸ سورة المجادلة الآية <22>.

²¹⁹ سورة التوبة الآية <23>.

²²⁰ سورة الممتحنة الآية <1>.

وفي الصحيحين من حديث أسامة: (لا يرث المسلم الكافر، ولا يرث الكافر المسلم).

وفي صحيح البخاري عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا يقتل مسلم بكافر)²²¹.

وأمرنا بعداوتهم وبغضهم فقال: {لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم}²²².

ولذا: فلا يحكم بإسلام المرء حتى يُكفر المشركين الكافرين، فإن توقف في ذلك مع ظهور الأمر فيهم، أو شك في كفرهم مع تبينه ووضوحه، فهو مثلهم شاء أم أبى.

²²¹ صحيح البخاري (6915) كتاب الديات، باب لا يقتل المسلم بالكافر.

²²² سورة المجادلة الآية <22>.

لأن الشك في الحق كالتكذيب به، كأن يقول: ما ندري اليهود والنصارى على حق أو على باطل؟! فهذا شاك في كفرهم، فكأنه مكذب بأنهم على باطل وشرك وكفر.

فالذي يفعل معلوماً من الدين بالضرورة وجوباً أو تحريماً، هذا يكفر ويجب تكفيره.

أما من فعل مختلف في تحريمه كشرب الدخان أو ملتبس فيه أو فيه إشكال، كالوضوء من لحم الإبل، أو نحو ذلك فلا يجب عليك تكفيره.

وهنا تنبيه مهم: أن التكفير مرجعه للعلماء الراسخين في العلم، لا لكل من هب ودب؛ كي لا تصبح الأمور فوضى.

قال: (أو شك في كفرهم)

والشك الشين والكاف أصل واحد مشتق بعضه من بعض وهو يدل على التداخل، ومنه الشك الذي هو خلاف اليقين، وسُمي بهذا: لأن الشَّاكَّ كأنَّهُ شَكَّ لَهُ الأمران في مَشَاكِّ واحدٍ، وهو لا يتيقن واحداً منهما، فمن ذلك اشتقاق الشَّكِّ.

قال القاضي عياض - رحمه الله:-

ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل، أو وقف فيهم، أو شك، أو صحح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام، واعتقده، واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك²²³. اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:-

من شك في كفر -الكافر الأصلي كاليهود والنصارى، أو الثابت كفره يقيئاً كالباطنية- هؤلاء بعد معرفة قولهم، ومعرفة دين الإسلام، فهو كافر، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين²²⁴. اهـ.

وقال الإمام ابن باز - رحمه الله:-

الذي يعلم الكافر وما عليه من باطل، ثم لا يكفره أو يشك في كفره، معناه: أنه مكذب لله ولرسوله، غير مؤمن بما حكم الله

²²³ الشفا في التعريف بحقوق المصطفى (286/2) مع حاشية الشمني.

²²⁴ مجموع الفتاوى (368/2).

عليهم من الكفر كاليهود والنصارى، فهم كفار بنص القرآن، ونص السنة.

فالواجب على المكلفين من المسلمين اعتقاد كفرهم وضلالهم، ومن لم يكفرهم أو شك في كفرهم يكون مثلهم، لأنه مكذب لله ولرسوله، شك فيما أخبر الله به ورسوله، وهكذا من شك في الآخرة، شك هل هناك جنة أو لا، أو هل هناك نار أو لا، أو هل هناك بعث أو لا، وهل يبعث الله الموتى، فليس عنده إيمان ويقين، فهذا كافر حتى يؤمن بالبعث والنشور، وبالجنة والنار، وأن الله أعد الجنة للمتقين، وأعد النار للكافرين، فلا بد من الإيمان بهذا بإجماع المسلمين²²⁵. اهـ

قال: (أو صحح مذهبهم)

المذهب الذال والهاء والباء أصل يدل على الحسن والنضارة، وهو مصدر ميمي، يُطلق على الطريق، يُقال: اتبع فلان مذهباً حسناً، أي: طريقاً حسناً.

²²⁵ مجموع الفتاوى (231/28).

ويطلق على الطريقة والمسلك، يُقال: ضاقت به المذاهب، أي: الطرق والمسالك، ويطلق على مكان الذهاب، يُقال: ذهب فلانًا مذهبًا بعيدًا؛ ويطلق على المعتقد، يُقال: مذهبه في أمرٍ ما كذا، بمعنى معتقده، ومذهب الجهمية كذا، ومذهب المعتزلة كذا، ومذهب أهل السنة والجماعة كذا في أمرٍ ما.

والمذهب الفقهي: يقصد به اتباع إمام مُعَيَّن في الفقه من أئمة المذهب الأربعة المعتبرة.

فقوله: (أو صحح مذهبهم)، هذه أشد، لأنه يقرهم على شركهم وكفرهم، وهذا دليل تصحيحه للكفر والشرك؛ فهو كافر بإجماع المسلمين، والدليل قوله تعالى: **{وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله}**²²⁶.

وقال سبحانه: **{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان}**²²⁷.

²²⁶ سورة الأنفال الآية <39>.

²²⁷ سورة التوبة الآية <23>.

والفتنة هنا الشرك.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك سعد بن طارق عن أبيه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: **(من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله، حَرُمَ ماله، ودمه، وحسابه على الله)** 228.

والشاهد: **(وكفر بما يُعبد من دون الله)**.

ولذا: فلا يعصم دم المسلم قول لا إله إلا الله حتى يضيف إليها الكفر بما يُعبد من دون الله، فإن لم يفعل لم يحرم دمه وماله والسيوف مسلولة عليه.

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا**

228 صحيح مسلم (23) كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

إله إلا الله، عصم مني ماله، ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله) 229.

وفي المسند من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (بعثت بالسيف حتى يُعبد الله لا شريك له) 230.

وفي قوله تعالى: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى} 231.

بيان أن الله أوجب على جميع العباد: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله.

229 صحيح البخاري (2946) كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- الناس إلى الإسلام؛ وصحيح مسلم (21) كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

230 المسند (5114)، قال: حدثنا أبو النضر، حدثنا عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان، حدثنا حسان بن عطية، عن أبي منيب الجرشي، عن ابن عمر -رضي الله عنهما- به. أبو النضر هو هاشم بن القاسم، وعبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان اختلف فيه ورمي بالقدر، وخلاصة القول فيه صدوق يخطئ، فالحديث إسناده ضعيف.

231 سورة البقرة الآية <256>.

ويدخل في تصحيح المذهب تصحيح الأفكار الضالة الكفرية، كالاشتراكية والبعثية والماركسية والعلمانية ونحوها.

أو الدعوة الباطلة إلى وحدة الأديان الثلاثة -الإسلام واليهودية والنصرانية-؛ وقول إن الكل دين صحيح، وللمرء الخيار بينها ليدين الله به؛ أو يقول عن اليهود والنصارى: إنهم إخواننا، أو غيرهم من أهل الملل الكفرية؛ فمن اعتقد ذلك فهو كافر، لأنه مكذب لله ورسوله، قال تعالى: **{لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم}**²³²، وقال سبحانه: **{لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة}**²³³.

وكذلك مقولة: أن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- بعث للعرب خاصة، وليس لجميع البشرية.

²³² سورة المائدة الآية <17>.

²³³ سورة المائدة الآية <73>.

وقد أكذبهم الله في محكم كتابه ورد عليهم بقوله تعالى: {ومن
يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من
الخاسرين} ²³⁴.

فكل من لم يؤمن برسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- ويتدين
بدين الإسلام؛ فهو كافر.

فكل الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- دينهم هو الإسلام، فكل
من آمن بهم لما أرسلوا كان مسلمًا، ومن بعد التحريف والتبديل
لم يعد الدين هو الصحيح، فيكفر من يتبعه ويدين به، ويكفر بعد
رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- حيث لم يؤمن به؛ والخلاصة
كل دين بعد ظهور دين الإسلام باطل ولا يقبله الله.

روى الإمام مسلم -رحمه الله- في صحيحه من حديث أبي
هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه
وسلم- (والذي نفس محمد بيده؛ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة؛

²³⁴ سورة آل عمران الآية <85>.

يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به، إلا
كان من أصحاب النار)²³⁵.

وممن نقل الإجماع الحجاوي في "الإقناع".

²³⁵ صحيح مسلم (153) كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد -
صلى الله عليه وسلم- إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته.

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه -كالَّذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكْمَ الطَّوَاعِيتِ عَلَى حُكْمِهِ- فهو كافر.

الاعتقاد العين والقاف والذال أصل واحد يدلُّ على شدٍّ وشدَّةٍ وُثُوقٍ؛ ومنه: عقدتُ الحبلَ أَعَقِدُهُ عَقْدًا.

والاعتقاد مصدر اعتقد يعتقد اعتقادًا وعقيدة.

وفي الاصطلاح: هي ما ينعقد عليه قلب المرء، ويجزم به ويتخذه دينًا ومذهبًا.

والهدي الهاء والذال والحرف المعتل أصل صحيح يدل على التَّقَدُّمُ للإرشاد، ومنه: هديتُهُ الطريقَ هدايةً، أي: تقدمته لأرشدَهُ، وكلُّ مُتَقَدِّمٍ لذلك هادٍ؛ فقالوا: الهدى خلاف الضلالة؛ والمقصود بالهدي السيرة والطريقة.

وهذه مسألة خطيرة، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقول في خطبة الجمعة: (فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي

هدي محمد) رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-²³⁶.

ولا شك ولا ريب أن حكم الله خير الأحكام وأنفعها وأعظمها وأكملها، لقوله تعالى: {أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون} ²³⁷.

وأن هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- أكمل الهدي وأحسنه؛ لأنه وحي من الله، كما قال سبحانه: {إن هو إلا وحي يوحى} ²³⁸، وقال سبحانه: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً} ²³⁹.

وشريعته ناسخه لجميع الشرائع، ولذا قال -صلى الله عليه وسلم- لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لما رأى معه كتاب أصابه

²³⁶ صحيح مسلم (867) كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة.

²³⁷ سورة المائدة الآية <50>.

²³⁸ سورة النجم الآية <4>.

²³⁹ سورة النساء الآية <65>.

من بعض أهل الكتاب: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده؛ لقد جئتم بها ببيضاء نقية...) الحديث²⁴⁰.

فمن اعتقد أن غير شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- يمكن أن توصله إلى الله ويدخل الجنة فقد أخطأ الطريق وضل السبيل، إذ لا دين ولا طريق مقبول عند الله ويوصل إلى الجنة منذ بعث الله محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى أن تقوم الساعة إلا دين الإسلام وطريق وهدي محمد -صلى الله عليه وسلم-.

ثم إن الله قد أكمل الدين، قال تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً}²⁴¹.

فكيف يكون هذا الهدى المستورد أفضل وأكمل من هدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وشريعة الإسلام السمحاء؟! إن هذا لشيء عجاب.

²⁴⁰ المسند (15156) قال: حدثنا سريج بن النعمان، قال: حدثنا هُشيم، أخبرنا مُجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- به هذا الإسناد ضعيف لضعف مُجالد بن سعيد بن عمير الهمداني.
²⁴¹ سورة المائدة الآية <3>.

ولكن من مُسخت عقولهم، وتكررت مشاربهم، وتلوثت أفهامهم، فإنهم لا يميزون بين حق وباطل، ولا بين غث وسمين، انتكست فطرهم حتى رأوا القوانين الوضعية، والأسلاف والأعراف شرائع محكمة، وخاصة من يفعل ذلك تعصبًا وعنادًا وجحودًا.

والحكم الحاء والكاف والميم أصلٌ واحدٌ، وهو المنع.

وفي الاصطلاح: إثبات أمر لأمر، أو نفيه عنه.

والحكم بغير ما أنزل الله -إذا اعتقد أن هذا أمر مباح- مسوغًا ذلك فهذا هو الاستحلال، وهذا كفر وقائله كافر كفر أكبر مخرج من الملة؛ أو أنه يجوز الحكم بالشرعية وكذلك بالقوانين، المهم حل النزاعات؛ فكأنه جعل الحكم بالشرعية مساوٍ للحكم بالقوانين، فحكم الطاغوت كحكم الله عنده؛ فهذه ردة صريحة وكفر بواح؛ وصاحبها كافر بإجماع أهل العلم؛ أو يحكم بغير ما أنزل الله ويقول: هذا هو حكم الله؛ فهذا تبديل وصاحبه كافر كفر أكبر

مخرج من ملة الإسلام، قال تعالى: {أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله}²⁴².

إما إذا أضاف لذلك بأن يقول: بأن الحكم بغير ما أنزل الله أحسن من الحكم بما أنزل الله وأفضل؛ فهذا أشد كفرًا وأعظم شرًا.

وإذا زاد فجوره وعظم جرمه وجدد حكم الله ورسوله، سواء كان كان الجحود لأصل من أصول الدين أو فرعًا من الفروع المجمع عليها، أو حتى أنكر حرفًا قطعياً مما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم- فهذا كافر -أيضًا- كفر اعتقاد مخرج من الملة، قال تعالى: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين}²⁴³، وقال سبحانه: {فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون}²⁴⁴.

وأما إذا حكم بغير ما أنزل الله في قضية من القضايا وأمر من الأمور، وهو يعلم أن عليه ذنب وفعله محرم، ولكن لهوى نفس،

²⁴² سورة الشورى الآية <21>.

²⁴³ سورة النمل الآية <14>.

²⁴⁴ سورة الأنعام الآية <33>.

أو جهل بما أنزل الله، مع أنه يعتقد أن حكم الله هو الحق الواجب؛ فهذا إنما فعل كبيرة من كبائر الذنوب؛ وهذا هو تفسير معنى كلام ابن عباس -رضي الله عنهما- **"كفرٌ دون كفر"** رواه الحاكم في المستدرک²⁴⁵.

²⁴⁵ المستدرک (3219) قال: أخبرنا أحمد بن سليمان الموصلي، ثنا علي بن حرب، ثنا سفيان بن عيينة، عن هشام بن حجير، عن طاووس، قال: قال ابن عباس -رضي الله عنهما- به؛ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه. اهـ. أحمد بن سليمان الموصلي شيخ الحاكم صدوق، وهشام بن حجير المكي ضعفه الإمام أحمد ويحيى بن معين، وأقصى مرتبته أن يكون مقبول في الشواهد والمتابعات. ورواه عبدالرزاق في تفسيره (713) قال: قال: عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، قال: سئل ابن عباس -رضي الله عنهما- عن قوله تعالى: **{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}** سورة المائدة <44>.

قال: هي كفرٌ، قال ابن طاووس: وليس كم كفر بالله وملائكته ورسله. وتابعه ابن جرير في تفسيره (356-355/10) فقال: حدثنا هناد، قال: حدثنا وكيع. ح.

وحدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن معمر بن راشد، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: **{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}**، قال: هي به كفر، وليس كفرًا بالله وملائكته وكتبه ورسله. ورواه من طريق الحسن، قال: حدثنا أبو أسامة، عن سفيان عن معمر عن ابن طاووس، عن أبيه، قال: قال رجل لابن عباس -رضي الله عنهما- في هذه الآيات: **{ومن لم يحكم بما أنزل الله}**، فمن فعل هذا فقد كفر؟ قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: إذا فعل ذلك فهو به كفر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر، وبكذا وكذا. فالأثر بشواهد ومتابعاته وتعدد طرقه حسن ثابت.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

فرق بين الكفر المعروف باللام كما في قوله -صلى الله عليه وسلم-: **(ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة)**²⁴⁶، وبين كفر منكر في الإثبات²⁴⁷. اهـ.

والدليل قوله تعالى: **{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}**²⁴⁸

لأن تحكيم شرع الله عبادة لله، وتحكيم غيره شرك، شرك في الطاعة وشرك في الحكم؛ لأن الطاغوت هو كل حكم غير حكم الله، من القوانين والأعراف والأسلاف والكهان والدجالين؛ ومن وقع في شيء من هذا ولو تأولاً أو تساهلاً أو خروجاً من مضيق، فعليه المسارعة للتوبة والرجوع إلى الله، وكثرة الاستغفار

²⁴⁶ رواه مسلم في صحيحه (82) كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، بلفظ: **(إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)**؛ وأبو داود في سننه (4678) كتاب السنة، باب في رد الإرجاء، بلفظ: **(بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة)**.

²⁴⁷ اقتضاء الصراط المستقيم (237/1).

²⁴⁸ سورة المائدة الآية <44>.

والصدقات، لأن الباب هذا مسلكه صعب، ومفارقته مع أسلاف وأعراف الناس شاق، نسئل الله العفو والمغفرة.

ثم إن من شروط لاإله إلا الله: الانقياد المنافي للإعراض، والانقياد يكون بتحكيم شرع الله، واعتقاد أن حكم الرسول -صلى الله عليه وسلم- أحسن وأكمل من حكم غيره، وعكس هذا مناقضة لهذا الشرط.

قال ابن القيم في نونيته:

والله ما خوفي الذُّنوب فإنها لعلّ سبيل العفو والغفران
لكنما أخشى انسلاخ القلب عن تحكيم هذا الوحي والقرآن
ورضاً بآراء الرّجال وخرصها لا كان ذاك بمنة المنّان.

ويدخل في هذا أسلاف وأعراف القبائل التي عمت وطمت ولم تخلو منها ديار؛ فلا تُحل المشاكل والقضايا إلا بها؛ مع كونها أحكام جاهلية طاغوتية مماثلة للقوانين والتشريعات البشرية التي ما أنزل الله بها من سلطان، قال تعالى: {ألم تر إلى الذين يزعمون

أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يُريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً²⁴⁹، وقال سبحانه: {أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون}²⁵⁰.

قال العلامة سليمان بن سحمان -رحمه الله-:

فلو اقتتلت البادية والحاضرة حتى يذهبوا لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتاً يحكم بخلاف شريعة الإسلام التي بُعث بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-²⁵¹. اهـ.

قال: (كَالَّذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكْمَ الطَّوَاغُوتِ عَلَى حُكْمِهِ)

الطاغوت: الطاء والغين والحرف المعتل أصل صحيح منقاس، وهو مجاوزة الحد في العصيان، ومنه: طغى السيل، إذا جاء

²⁴⁹ سورة النساء الآية <65>.

²⁵⁰ سورة المائدة الآية <50>.

²⁵¹ الدرر السنية (510/10).

بماءٍ كثير؛ وطغى البحر، إذا هاجت أمواجه؛ قال تعالى: {إنا لما
طغى الماء}²⁵².

وهنا مسألة الحاكم الذي يحكم بالقوانين والأنظمة والتشريعات
البشرية، إذا كانت هذه الأنظمة والقوانين سارية المفعول في البلد
كامل، فهل يُحكم عليه بالكفر؟

قال بهذا بعض أهل العلم: لأن حكمهم بالقوانين تنزيل لها منزلة
الشرعية، ثم هي تبديل للدين كلياً، ففي هذا دليل عن الرضى
والاستحلال؛ وقال آخرون: لا، ما يكفي الظاهر حتى يستحلوا
ذلك، فتقوم عليهم الحجة.

²⁵² سورة الحاقة الآية <11>.

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ولو عمل به؛ كفر إجماعاً؛ والدليل قوله تعالى: {ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم}.

البغض في اللغة الباء والغين والضاد أصل واحد، وهو يدل على خلاف الحُبِّ، بمعنى الكره والمقت، وهو نفور النفس عن الشيء الذي يرغب فيه.

ولأن بغض وكرهه ما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- سواءً من الأقوال أو الأفعال -أمرًا أو نهياً- ردة، حتى ولو عمل به؛ يكفي بغضه له في القلب، وأن عمل به في الظاهر، قال تعالى: {ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم}²⁵³، لأن هذا نفاق اعتقادي صاحبه مخذ في الدرك الأسفل من النار.

وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه؛ دخل الجنة)، الشاهد: (خالصاً من قلبه) فخرج

²⁵³ سورة محمد الآية <9>.

بذا المنافق، لأنه لم يقلها خالصة من قلبه، وإنما قالها ليعصم دمه وماله؛ لأن المنافق يفعل الكثير من محاسن الشريعة الظاهرة مع بغضه لها، وذلك لمآرب مختلفة، قال تعالى: {وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم} ²⁵⁴.

ويدخل في ذلك كراهة بعض أحكام الشريعة كتعدد الزوجات أو كون شهادة المرأة بشهادة رجل، أو كراهة الحجاب والحشمة والعفاف، وكراهة تحريم الخمر والزنا والربا.

وهذا الناقض كسابقه الوقوع فيه مضادة ومناقضة لشرط المحبة، وهي من شروط لا إله إلا الله، وتكون المحبة بانشرac الصدر والسرور، لا البغض والكراهة لذلك.

قال: (ولو عمل به)؛ إشارة إلى أن البغض بغض للتشريع لا للعمل.

²⁵⁴ سورة التوبة الآية <101>.

والبغض نوعان:

الأول: بغض مكفر: وهو بغض التشريع أو شيء منه، قال تعالى: {بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون}²⁵⁵، وقال سبحانه: {وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة}²⁵⁶.

الثاني: بغض طبيعي: قال تعالى: {كتب عليكم القتال وهو كَرِهٌ لَكُمْ}²⁵⁷، فالإنسان بطبعه يكره الجهاد ويكره الموت؛ لكن إذا قوي إيمانه بالله وصدقت رغبته وعلم أن الموت أجل محتوم وقدم لحياته الأبدية الزاد، فلن يجزع ولن يكره الموت؛ وهكذا في الجهاد إذا علم بفضله وشرفه وفضل الشهادة ومنزلتها، فلن يفكر في مشقة ولا ركوب مخاطر؛ وهكذا المرأة تكره التعدد مع إقرارها بجواز التعدد؛ وهذا كله يتضح بما رواه الإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه من حديث أنس بن مالك - رضي الله

²⁵⁵ سورة المؤمنون الآية <70>.

²⁵⁶ سورة الزمر الآية <45>.

²⁵⁷ سورة البقرة الآية <216>.

عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (حفت الجنة بالمكاره)²⁵⁸.

قال: (كفر إجماعاً).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

...، أو بغضاً لما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فهذا كافر بالاتفاق²⁵⁹. اهـ.

وقال في "الإقناع": باتفاق أهل العلم.

وشرط التكفير به أن يعلم أن هذا الأمر الذي أبغضه من الدين وثابت بالكتاب والسنة.

وهنا ننبه على مسألة: لا يلزم إلزام أهل المعاصي بأن فعلهم هذا بغض لما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم-، إذ المسألة مختلفة عن النفاق تماماً، وذلك أن بعض الصحابة حصلت منه هفوات

²⁵⁸ صحيح مسلم (2822) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

²⁵⁹ مجموع الفتاوى (97/20).

ومعاصي ولم يلزمهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك؛ لأن الإلزام هذا يقتضي إخراج أهل الكبائر من دائرة الإسلام، وهذا مخالف لمعتقد أهل السنة والجماعة من أن أهل الكبائر تحت المشيئة، خلافاً للخوارج. والله أعلم.

ثم أنه قد صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال في شارب الخمر الذي لعنه بعض الصحابة وقال: ما أكثر ما يؤتى به! (لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله)²⁶⁰.

ولا نكفر بالمعاصي مؤمنا إلا مع استحلاله لما جنى
وتقبل التوبة قبل الغرغرة كما أتى في الشرعة المطهرة.

²⁶⁰ صحيح البخاري (6780) كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وأنه ليس بخارج من الملة.

السادس: من استهزأ بشيءٍ من دين الله، أو ثوابه، أو عقابه؛ كفر؛ والدليل قوله تعالى: **{قُلْ أَبِاللهِ وآياته ورسوله كنتم تستهزءون* لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم}**²⁶¹.

الاستهزاء مصدر استهزأ يستهزئ، والفاعل مُسْتَهْزِئ، والمفعول مُسْتَهْزَأُ به؛ ومن معاني صيغة استفعل: الدلالة على الطلب والصيرورة؛ فالاستهزاء ارتياد الهزاء.

وأصل المادة الهاء والزاي والهمزة كلمة واحدة، يُقال: هَزَيْ واستهزأ، إذا سَخَرَ.

والسخرية: هي الاستحقار والاستهانة والدلالة على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه.

قال أبو هلال العسكري:

²⁶¹ سورة التوبة الآيات <65-66>.

الاستهزاء والسخرية: أن الإنسان يستهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يُستهزأ به من أجله، والسخر يدل على فعل يسبق من المسخور منه²⁶². ا.هـ

والدين الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها، وهو جنس من الانقياد والدُّلّ، فالدين الطاعة، يُقال: دان له يدين دينًا إذا أصحب وانقاد وطاع، وقومٌ دين، أي: مطيعون منقادون. والاستهزاء بشيء مما أنزل الله، أو بشيء مما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولو كان من السنن والمستحبات، فضلًا عن الفرائض والواجبات، كالسواك وقص الشارب وتقليم الأظافر، وكان الاستهزاء لذات الشيء؛ فهو كفر بإجماع المسلمين، وصاحبه مرتدًا عن دين الإسلام، ولو لم يقصد حقيقة الاستهزاء؛ كما لو هزل مازحًا.

وذلك لما روى ابن جرير في تفسيره (334/14 شاكر):

²⁶² الفروق اللغوية (254).

عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء: أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المجلس: كذبت! ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ فبلغ ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم-، ونزل القرآن.

قال عبدالله: فأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تَنكُّبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب! ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: {أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون* لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم} 263.

الشاهد: {إنما كنا نخوض ونلعب}؛ أي: إنما لم نقصد حقيقة الاستهزاء، وإنما قصدنا الخوض واللعب، نقطع به عناء الطريق، كما في بعض روايات الحديث، ومع ذلك كفرهم الله -جل وعلا-؛ لأن هذا الباب لا يدخله الخوض واللعب والمزاح

263 سورة التوبة الآيات <65-66>.

والفكاهة، فانظر هذا الكلام كيف جعلهم كافرين وقبله كانوا مسلمين.

قال الرازي في تفسيره:

أن الاستهزاء بالدين كيف كان؛ كفر بالله، وذلك لأن الاستهزاء يدلُّ على الاستخفاف، والعُمدَةُ الكبرى في الإيمان تعظيم الله تعالى بأقصى الإمكان، والجمع بينهما محال²⁶⁴. ا.هـ

وقال ابن العربي:

لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جدًّا أو هزلًا، وهو كيفما كان كفر، فإن الهزل بالكفر كفر، لا خُلْفَ فيه بين الأُمَّة²⁶⁵. ا.هـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

دل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفرًا، بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر، فبين أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر

²⁶⁴ مفاتيح الغيب (95/16).

²⁶⁵ أحكام القرآن (543/2).

به صاحبه بعد إيمانه، فدل على أنه كان عندهم إيمان ضعيف، ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرم، ولكن لم يظنوه كفرًا، وكان كفرًا كفروا به، فإنهم لم يعتقدوا جوازه²⁶⁶. ا.هـ

وقال العلامة السعدي -رحمه الله:-

فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين، وأن من استهزأ بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله الثابتة عنه أو سخر بذلك أو تنقصه أو استهزأ بالرسول أو تنقصه فإنه كافر بالله العظيم²⁶⁷. ا.هـ

وقال الإمام ابن المنذر -رحمه الله:-

وقد روينا عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قيل له: إن رجلاً سب النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: لو سمعته لقتلته.

²⁶⁶ كتاب الإيمان الكبير -ضمن مجموع الفتاوى- (273/7).

²⁶⁷ تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان (342) بتصرف.

وأجمع عوام أهل العلم على وجوب القتل على من سب النبي - صلى الله عليه وسلم-، هذا قول مالك والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق، ومن تبعهم²⁶⁸. اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

أن الساب إن كان مسلمًا فإنه يكفر ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم،... وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: كل من شتم النبي -صلى الله عليه وسلم- أو تنقصه مسلمًا كان أو كافرًا فعليه القتل، وأرى أن يقتل ولا يستتاب²⁶⁹. اهـ

قال أهل العلم: هذا الرجل كان مؤمنًا، أو كان عنده أصل الإيمان وإيمانه ضعيف فكفر، أو كان منافقًا مظهرًا للإيمان ثم باح بالكفر.

وعليه: فلا يجوز الاستهزاء بشيء مما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم-؛ كالاستهزاء بالعلم الشرعي وأهله لأجله، أو

²⁶⁸ الإقناع لابن المنذر (584/2).

²⁶⁹ الصارم المسلول على شاتم الرسول -صلى الله عليه وسلم- (4).

الاستهزاء بثواب الله وعقابه، أو الاستهزاء بالأميرين بالمعروف والناهيين عن المنكر من أجل أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، أو الاستهزاء بالصلاة والمصلين لأجل صلاتهم، فهذه الأمور مرتكبها كافر.

لأن الاستهزاء والسخرية كانت من أعداء الرسل، قال تعالى: **{ولقد استهزئ برسل من قبلك} 270**، وقال سبحانه: **{ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون} 271**، وقال تعالى: **{إنه كان فريقاً من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين} 272** فاتخذتموهم سخرية حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون* **إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون} 272**.

270 سورة الأنعام الآية <10>.

271 سورة هود الآية <38-39>.

272 سورة المؤمنون الآيات <109-111>.

وقال سبحانه: {إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون* وإذا مروا بهم يتغامزون* وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين* وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون* وما أرسلوا عليهم حافظين* فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون* على الأرائك ينظرون* هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون}273، وقال جل وعلا: {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم}274.

وعليه: فالاستهزاء بأهل العلم والصلاح على نوعين:

النوع الأول: كمن يستهزئ بأوصافهم الخلقية أو الخلقية فهذا محرم، لقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون}275.

273 سورة المطففين الآيات <29-36>.

274 سورة التوبة الآية <79>.

275 سورة الحجرات الآية <11>.

النوع الثاني: الاستهزاء والسخرية بأهل العلم لأجل علمهم، وأهل الخير والصلاح لأجل خيرهم وصلاحهم، فهذا النوع كفر وردة، لأن الاستهزاء والسخرية إنما كان لأجل الدين والخير والصلاح الذي يحملونه، وليس على أشخاصهم وذواتهم، والدليل آية الكفر بالاستهزاء السابقة.

وقد تكلم المؤلف -رحمه الله- في "**حكم المرتد**" بما محصله:
أن الاستهزاء بشيء مما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: الاستهزاء الصريح: كالذي نزلت فيه الآية.

ثانيهما: الاستهزاء غير الصريح: وهو البحر الذي لا ساحل له، مثل: الرمز بالعين، وإخراج اللسان، ومد الشفة، والغمزة باليد عند تلاوة القرآن، أو عند قراءة سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر²⁷⁶.

²⁷⁶ حكم المرتد -ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية- (10/123-125).

وبوّب المؤلف -رحمه الله- في "كتاب الكبائر" له:

باب ما جاء في لمر أهل طاعة الله والاستهزاء بضعفتهم.

فالذي ينبغي على المسلم أن يعلم أنه لا يجوز الجلوس والبقاء مع قوم هذا ديدنهم وشغلهم، لأن جلوسك وبقائك معهم يجعلك مثلهم في الحكم، قال عز وجل: {وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً} ²⁷⁷.

ويزيد الإثم إذا انضاف لذلك إقرارك لهم على ذلك.

أما من حصل منه السب الصريح لله أو لكتابه أو لرسوله، أو شيئاً من القرآن، أو شيئاً من السنة؛ فهذا مرتد عن الإسلام ولو كان مازحاً.

²⁷⁷ سورة النساء الآية <140>.

ومن اشترط النية هنا فقد أبعد النجعة، وغلط أفحش الغلط؛ وذلك أن الله يقول حاكيًا عنهم: {إنما كنا نخوض ونلعب}، فالآية فيها إشارة إلى إنهم كانوا مؤمنون بالله ورسوله، موحدون، ولكن لما قالوا هذه المقالة، قال الله فيهم: {قد كفرتم بعد إيمانكم}، ولم يقل: إن كنتم تعتقدون هذا، وإنما حكم عليهم بالردة بعد الإيمان؛ ولا يُعذر من تكلم بكلمة الكفر إلا في حالتين:

الأولى: إذا كان مُكْرَه لنص الآية.

والثانية: حال كونه يحكي الكفر لأمرٍ ما، فحاكي الكفر ليس بكافر، لعموم النصوص التي حكى الله فيها ما قاله اليهود والنصارى من الكفر والشرك.

تنبيه: إذا حصلت منه معصية أو تقصير في امتثال مندوب ونحوه، وهو يعلم أنه مُقصر ومخطئ فهذا لا يكفر؛ لأنه يعلم خطأ نفسه وغلط نفسه، وإنما لأجل هوى أو تقصير حصل منه ما حصل.

السابع: السِّحْرُ -ومنه: الصِّرْفُ والعَطْفُ-، فمن فعله أو رضي به؛ كفر؛ والدليل قوله تعالى: ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولاً إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾²⁷⁸.

السحر السين والحاء والراء أصل صحيح، وهو يُطلق في اللغة على ما خفي ولطف مأخذه ودق؛ والعرب تقول: أخفى من السحر.

ومنه قول الشاعر: [من بحر الطويل]

جعلت علاماتِ المودّةِ بيننا

مصائدَ لحظٍ هُنَّ أخفى من السِّحرِ

فأعرفُ منها الوصلَ في لين طرفها

وأعرفُ منها الهجرَ في النَّظرِ الشَّزْرِ.

²⁷⁸ سورة البقرة الآية <102>.

وفي الشرع: حُدَّ بحدود مختلفة، منها: عَقْدٌ ورُقَى وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين لتضرر المسحور في عقله أو بدنه؛ واختلافهم في تعريفه لأجل كثرة أنواعه.

قال العلامة المفسر الأمين الشنقيطي - رحمه الله:-

اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يُمكنُ حُدُّه بحدٍّ جامعٍ مانعٍ، لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدرٌ مُشتركٌ بينها يكون جامعًا لها مانعًا لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافًا متباينًا²⁷⁹. اهـ

وقال الفخر الرازي:

اعلم أن السحر على أقسام:

الأول: سحر الكلدانيين والكسديين الذين كانوا في قديم الدهر، وهم قومٌ يعبدون الكواكب، ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم، ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة، وهم

²⁷⁹ أضواء البيان (41/4).

الذين بعث الله تعالى إبراهيم - عليه السلام - مُبْطَلًا لمقاتلتهم، ورائدًا عليهم في مذهبهم.

الثاني: سحر أصحاب الأوهام والنفس القويّة.

الثالث: سحر الاستعانة بالأرواح الأرضية، كتسخير الجن والعزائم.

الرابع: التّخيلات والأخذ بالعيون، كسحرة فرعون.

الخامس: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المُركّبة على النّسب الهندسية تارةً، وعلى ضُرُوب الخِيَلِ أُخرى.

السادس: الاستعانة بخواص الأدوية، كالأدوية المُبلّدة المُزيّلة للعقل، والدُّخْن المُسكِرَة.

السابع: تعليق القلب، وهو أن يدعي الساحر أنه قد عَرَفَ الاسم الأعظم وأن الجن يُطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور.

الثامن: السعي بالنميمة والتَّضْرِيب من وجوه خفيفة لطيفة وذلك شائع في الناس²⁸⁰. ا.هـ

وينقسم السحر من حيث المسحور إلى قسمين:

الأول: سحر حقيقي: قال تعالى: {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ مَا يَفْرُقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرءِ وَزَوْجِهِ}²⁸¹، فهذه إشارة صريحة في أن للسحر حقيقة وذلك لكونه يُتَعَلَّم، وكونه سبباً للتفريق بين المرء وزوجه، والأخ وأخيه، والولد وأبيه، ونحو ذلك؛ وقال جل وعلا: {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعَقَدِ}²⁸²، ففي هذه الآية بيان أن للسحر حقيقة، وإلا فلما يكون النفث في العقد، وكذلك لم يأمر الله بالاستعاذة منه إلا لأنه حقيقة، فتارة يقتل وتارة يُمرض بجنون أو غيره.

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (سُحِرَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- حَتَّى كَانَ يُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ

²⁸⁰ مفاتيح الغيب (617/3-625) بتصرف.

²⁸¹ سورة البقرة الآية <102>.

²⁸² سورة الفلق الآية <4>.

قال: (أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي، أتاني رجلان: فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال: أحدهما للآخر ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، في مُشْطٍ ومُشاقَّةٍ وجُفٍّ طَلَعَةٍ ذَكَرٍ، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذروان) فخرج إليها النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم رجع، فقال لعائشة حين رجع: (نخلها كأنه رؤوس الشياطين)، فقلت استخرجته؟ فقال: (لا، أما أنا فقد شفاني الله، وخشيت أن يُثير ذلك على الناس شرًّا) ثم دُفنت البئر. 283

فقوله: (أتاني)، أي: في المنام؛ و(رجلان)، أي: ملكان في صورة رجلين؛ و(مطبوب)، أي: مسحور؛ و(مشاقَّة) ما يخرج من الكتان، وقيل: ما يغزل من الكتان؛ و(جف الطلعة)، أي: وعاء الطلع وغشاؤه إذا جف؛ و(بئر ذروان) بئر بالمدينة في بستان أحد اليهود.

283 صحيح البخاري (3268) واللفظ له، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده؛ وصحيح مسلم (2189) كتاب السلام، باب السحر.

وهذا دليل على حقيقة السحر، وهو مذهب أهل السنة والجماعة،
وخالف في ذلك أبو حنيفة فقال: لا حقيقة له عنده.

وقال القرطبي - رحمه الله -:

وذهبت عامة المعتزلة وأبو إسحاق الأسترآبادي من أصحاب
الشافعي إلى أنه لا حقيقة له، وإنما هو تمويهٌ وتخيلٌ وإيهامٌ...
لقوله تعالى: {يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} ²⁸⁴، ولم يقل:
تسعى على الحقيقة، ولكن قال: {يُخِيلُ إِلَيْهِ}.

وهذا لا حجة فيه؛ لأننا لا ننكر أن يكون التخيل وغيره من جملة
السحر، ولكن ثبت وراء ذلك أمور جَوَّزها العقل، وورد بها
السمع،... وتكلم بكلام طويل جميل راجعه للفائدة ²⁸⁵.

الثاني: سحر تخيلي: ومنه: ما حصل لموسى - عليه السلام - من
سحرة فرعون، قال تعالى: {قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ

²⁸⁴ سورة طه الآية <66>.

²⁸⁵ الجامع في أحكام القرآن (46/2).

الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم²⁸⁶، وقال سبحانه:
{قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى* قال بل
ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يُخِيل إليه من سحرهم أنها تسعى*
فأوجس في نفسه خيفةً موسى* قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى*
وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا
يفلح الساحر حيث أتى²⁸⁷.

وهنا ننبه إلى أمر مهم، السحر كما تقدم فيه الحقيقي كالتفريق
ونحو ذلك، وفيه تخيلي وهو ما يحصل من سحر أعين الناس
ليروا أشياء على غير حقيقتها، فيرون الإنسان حمارًا، والقط
أسدًا، والحجار ذهبًا، ونحو ذلك من التمويه والتخيل على
البصر.

وأما أن السحر يقلب الأعيان، كقلب الرجل حمارًا، والكلب أسدًا،
والتراب عسلًا؛ فهذا لا يمكن، لأن هذا من خلق الله الخالق البارئ

²⁸⁶ سورة الأعراف الآية <116>.

²⁸⁷ سورة طه الآيات <65-69>.

المصور المختص بذلك وحده دون من سواه؛ والساحر إنما غاية عمله الكيد والخداع والتمويه.

قال العلامة المفسر القرطبي -رحمه الله-:

لا يُنكر أن يظهر على يد الساحر خرق العادات مما ليس في مقدور البشر، من مرضٍ وتفريقٍ وزوالٍ عقلٍ وتعويجٍ عضوٍ إلى غير ذلك مما قام الدليل على استحالة كونه من مقدرات العباد²⁸⁸. اهـ.

والسحرُ حقٌّ وله تأثيرٌ لكن بما قدره القديرُ
أعني بذا التقدير ما قد قدره في الكون لا في الشريعة المطهرة.

وأما حكم تعلمه لأجل استعماله ومباشرته، فحرام ممنوع وغير جائز، لعموم قوله تعالى: {واتبعوا ما تنطق الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان

²⁸⁸ الجامع في أحكام القرآن (47/2).

من أحدٍ حتى يقولاً إنما نحن فتنَةٌ فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون²⁸⁹.

قال الإمام النووي -رحمه الله-:

عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عده النبي - صلى الله عليه وسلم- من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفرًا ومنه ما لا يكون كفرًا، بل معصية كبيرة.

فإن كان فيه قولٌ أو فعلٌ يقتضي الكفر كَفَرَ وإلا فلا.

وإذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عَزَّزَ واستُتِيبَ منه، ولا يُقْتَلُ عندنا، فإن تاب قُبِلَتْ توبته.

²⁸⁹ سورة البقرة الآية <102>.

وقال مالك: الساحر كافر يُقْتَل بالسحر، ولا يُستتاب، ولا تُقبل توبته بل يتحتم قتله، والمسألة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق، لأن الساحر عنده كافر كما ذكرنا، وعندنا ليس بكافر، وعندنا تقبل توبة المنافق والزنديق.

وقال القاضي عياض: ويقول مالك قال أحمد بن حنبل، وهو مروئي عن جماعة من الصحابة والتابعين²⁹⁰. اهـ.

قال العلامة الشنقيطي - رحمه الله:-

اختلف العلماء فيمن يتعلم السحر ويستعمله، فقال بعضهم: إنه يكفر بذلك، وهو قول جمهور العلماء، منهم: مالك وأبو حنيفة وأصحاب أحمد وغيرهم.

وعن أحمد ما يقتضي عدم كفره.

وعن الشافعي أنه إذا تعلم السحر قيل له: صف لنا سحرك؟ فإن وصف ما يستوجب الكفر، مثل: سحر أهل بابل من التقرب

²⁹⁰ شرح صحيح مسلم (176/14).

للكواكب، وأنها تفعل ما يَطْلُبُ منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر، وإلا فلا.

ثم قال: التحقيق في المسألة هو التفصيل:

فإن كان السحر مما يُعظم فيه غير الله، كالكواكب والجن وغير ذلك مما يؤدّي إلى الكفر؛ فهو كفر بلا نزاع، ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور في سورة البقرة؛ فإنه كفر بلا نزاع؛ كما دل عليه قوله تعالى: {وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر}، وقال سبحانه: {وما يُعلمان من أحدٍ حتى يقولاً إنما نحن فتنة فلا تكفر}، وقوله عز وجل: {ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق}، وقال جلّت قدرته: {ولا يفلح الساحر حيث أتى}.

وإن كان السحر لا يقتضي الكفر؛ كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها؛ فهو حرام حرمة شديدة، ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر²⁹¹. اهـ.

²⁹¹ أضواء البيان (50/4).

قلت: ولعل ما كان من خواص بعض الجواهر التي أشار إليه أو ما يسمى بالعباب الخدع البصرية والأعمال الرياضية، فهذه كلها تُسمى سحرًا مجازًا، وإلا فليست من السحر الذي يوجب الكفر، والله أعلم.

أما تعلمه من غير عمل به فاختلفوا في ذلك، والراجح الصحيح المنع وأنه لا يجوز وهو الذي عليه الجمهور ونصره أهل التحقيق، خلافاً للفخر الرازي -صاحب مفاتيح الغيب- الذي رأى جوازه، فقال:

أن العلم بالسحر غير قبيح، ولا محذور، اتفق المحققون على ذلك، لأن العلم لذاته شريف، وأيضاً لعموم قوله تعالى: {**هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**}²⁹²، ولأن السحر لو لم يكن يُعَلَّم لما أمكن الفرق بينه وبين المُعْجَز، والعلم بكون المعجز مُعْجَزًا واجب، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب، فهذا يقتضي

²⁹² سورة الزمر الآية <9>.

أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجبًا، وما يكون واجبًا كيف يكون حرامًا وقبيحًا²⁹³. اهـ

فتعقبه الحافظ ابن كثير - رحمه الله - قائلًا:

هذا الكلام فيه نظرٌ من وجوه:

أحدها: قوله: "العلم بالسحر ليس بقبيح".

إن عني به ليس بقبيحٍ عقلاً، فمخالفوه من المعتزلة يمنعون هذا، وإن عني أنه ليس بقبيحٍ شرعاً، ففي هذه الآية الكريمة {وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ}، تبشيع لتعلم السحر، وفي الصحيح: (من

²⁹³ مفاتيح الغيب (626/3).

أتى عرافاً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد²⁹⁴، وفي السنن
(من عقد عُقْدَةً ونفث فيها فقد سَحَر)²⁹⁵.

وقوله: "ولا محذور، اتفق المحققون على ذلك".

²⁹⁴ مسند أحمد (9537) قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن عوف، قال: حدثني خلاس، عن أبي هريرة، والحسن، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- به. وخلاس بن عمرو الهجري ثقة لكن لم يسمع من أبي هريرة -رضي الله عنه-، وعوف هو بن بندويه بن أبي جميلة الأعرابي صدوق رمي بالقدر والتشيع. وأبوداود في سننه (3904) كتاب الطب، باب في الكاهن، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، وحدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن حماد بن سلمة، عن حكيم الأثرم، عن أبي تميم، عن أبي هريرة، به. حكيم الأثرم صدوق، وأبو تميم هو طريف بن مجالد الهجيمي ثقة يروي عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، فالسند حسن. والترمذي في جامعه (135) من طريق بندار عن يحيى بن سعيد عن عبدالرحمن بن مهدي وبهز بن حكيم عن حماد بن سلمة عن حكيم بن الأثرم، به. وحماد بن سلمة بن دينار ثقة تغير حفظه قليلاً بآخره. وبإسناد الترمذي رواه النسائي في عشرة النساء من السنن الكبرى (8968). ²⁹⁵ النسائي في السنن الكبرى (3528) كتاب المحاربة، باب الحكم في السحرة، قال: أخبرنا عمرو بن علي، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا عباد بن ميسرة المنقري، عن الحسن، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- به. الحسن لم يسمع من أبي هريرة -رضي الله عنه-، وعباد بن ميسرة المنقري درجته مقبول، وأبوداود هو الطيالسي، وعمرو بن علي هو ابن بحر الفلاس.

كيف لا يكون محظورًا مع ما ذكرناه من الآية والحديث؟! واتفاق المحققين يقتضي أن يكون قد نص على هذه المسألة أئمة العلماء أو أكثرهم، وأين نصوصهم على ذلك؟!!

ثم إدخاله علم السحر في عموم قوله تعالى: {قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون} فيه نظر.

لأن هذه الآية إنما دلت على مدح العالمين العلم الشرعي، ولمَّا قُلْتُ إِنَّ هَذَا مِنْهَا! ثم تُرْقِيهِ إِلَى وَجوب تَعْلُمِهِ بِأَنَّهُ لَا يَحْصُلُ الْعِلْمُ بِالْمُعْجَزِ إِلَّا بِهِ، ضَعِيفٌ بَلْ فَاسِدٌ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَعْجَزَاتِ رَسُولِنَا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - هِيَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

ثم إن العلم بأنه معجز لا يتوقف على علم السحر أصلاً؛ ثم من المعلوم بالضرورة أن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعامتهم كانوا يعلمون المعجز، ويُفرقون بينه وبين غيره، ولم

يكونوا يَعلمون السحر، ولا تعلموه، ولا علموه، والله أعلم²⁹⁶. اهـ

وأما الساحر فلا شك أنه من المفسدين في الأرض، والعلماء في حكمه على قولين:

الأول: أن الساحر كافر، وهو مذهب الجمهور ومنهم الإمام أحمد والإمام مالك والإمام أبي حنيفة، وهذا ما عليه المؤلف: **(فمن فعله أو رضي به؛ كفر؛ والدليل قوله تعالى: {وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر})**.

ومما يؤيد هذا القول: أن الساحر مشرك بالله من جهة التقرب للجن والشياطين من دون الله، وكونه يدعي علم الغيب وهذا منازعة لله في خصوصيته **{قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله}**²⁹⁷.

²⁹⁶ تفسير القرآن العظيم (1/ 366-367).

²⁹⁷ سورة النمل الآية <65>.

والثاني: أن الساحر إذا تعلم السحر يُختبر، فيُقال له: صف لنا سحرك؟ فإن وصف ما يستوجب الكفر -مثل: سحر أهل بابل من التقرب للكواكب، وأنها تفعل ما يطلب منها-، فهو كافر؛ وإن كان لا يصل إلى حد الكفر واعتقد بإباحته، فهو كافر لاستحلاله المحرم، وإلا؛ فلا.

وهذا هو اختيار الشافعي وأحمد في رواية وداود الظاهري.

وهنا مسألة متعلقة بحال الساحر، هل يُقتل؟ على قولين:

الأول: بمجرد فعله للسحر واستعماله له، قال الجمهور وهو مذهب مالك وأبو حنيفة وأحمد في أصح الروايتين عنه يقتل ولا يستتاب، ودليلهم ما روى الترمذي في جامعه والحاكم في مستدركه والدارقطني في سننه عن جندب؛ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(حد الساحر ضربة بالسيف)**²⁹⁸.

²⁹⁸ جامع الترمذي (1460) كتاب الحدود، باب ما جاء في حد الساحر، قال: حدثنا أحمد بن منيع، قال: حدثنا أبو معاوية، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، عن جندب، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(حدُّ الساحر ضربةً بالسيف)**، وقال: هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يُضعف في

الحديث من قبل حفظه، وإسماعيل بن مسلم العبدى البصري، قال وكيع: هو ثقة ويروي عن الحسن أيضاً، والصحيح عن جندب موقوفاً والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعي: إنما يُقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر، فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم تَرَّ عليه قتلاً. ا.هـ

وأخرجه الحاكم في مستدركه (8073) كتاب الحدود، قال: حدثنا علي بن حمشاذ العدل، ثنا إسماعيل بن قتيبة، والحسن بن عبد الصمد، قالوا: حدثنا يحيى بن يحيى، أنبأ أبو معاوية، به.

وقال: هذا حديث صحيح الإسناد وإن كان الشيخان تركا حديث إسماعيل بن مسلم فإنه غريب صحيح، وله شاهد صحيح على شرطهما جميعاً في ضدِّ هذا صحيح غريب. ا.هـ والدارقطني في سننه (3204) كتاب الحدود والديات وغيره، قال: نا محمد بن أحمد بن صالح الأزدي الوكيل، نا أحمد بن بُديل، نا أبو معاوية، به.

فالحديث في إسناده المكي إسماعيل بن مسلم ضعفه علي بن المديني وأبو حاتم، وقال الإمام أحمد فيه: منكر الحديث، وقال يحيى: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك الحديث، فالحديث كما قال الترمذي لا يصح مرفوعاً، ووقفه هو الصواب؛ والله أعلم.

وما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (365/1) أن الطبراني رواه من وجه آخر، عن الحسن، عن جندب، مرفوعاً. ا.هـ

قلت: في المعجم الكبير للطبراني (1666): حدثنا محمد بن يوسف التُّركي، ثنا محمد بن الحسن بن سيار، ثنا خالد العبد، عن الحسن، عن جندب، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. قال: (حد الساحر ضربة بالسيف)، محمد بن الحسن بن سيار مجهول الحال، وخالد العبد هو ابن عبد الرحمن متروك، قال البخاري: منكر الحديث، وكذبه الدارقطني واتهمه أبو حاتم بسرقه الحديث.

فخلاصة القول: لا يصح هذا الحديث مرفوعاً، والله أعلم.

واستدلوا: بما رواه الإمام أحمد في المسند وأبو داود في السنن عن بجاله بن عبدة؛ قال: (أتانا كتاب عمر قبل موته بسنة: أن **اقتلوا كل ساحر**)، - وربما قال سفيان: (وساحرة)-، (وفرقوا بين **كل ذي محرم من المجوس، وانهوهم عن الزمزمة**)؛ فقتلنا ثلاث سواحر؛ الحديث²⁹⁹. و هو في صحيح البخاري بدون زيادة (**اقتلوا كل ساحر**)³⁰⁰.

ومن أدلتهم: ما روى الإمام مالك في الموطأ والبيهقي في سننه الكبرى عن حفصة -رضي الله عنها- أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها³⁰¹.

²⁹⁹ المسند (1657) بإسناد صحيح؛ وأبو داود (3043) بإسناد صحيح في كتاب الخراج والفئ والإمارة، باب أخذ الجزية من المجوس.

³⁰⁰ صحيح البخاري (3156) كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب.

³⁰¹ الموطأ (3247) كتاب العقول، باب ما جاء في الغيلة والسحر، عن محمد بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة، بلاغاً.

ورواه البيهقي في السنن الكبرى (16499) كتاب القسم، باب تكفير الساحر وقتله إن كان ما يسحر به كلام كفر صريح، قال: أخبرنا أبو محمد عبدالله بن يحيى بن عبدالجبار السُّكْرِي ببغداد، أنبأ إسماعيل بن محمد الصَّقَّار، ثنا سعدان بن نصر، ثنا أبو معاوية، عن غبيل الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، به. وإسناده صحيح.

ومن أدلتهم: ما روى الإمام البخاري في التاريخ الكبير عن أبي عثمان: كان عند الوليد رجلٌ يلعبُ فذبح إنساناً وأبان رأسه، فجاء جُنْدُبُ الأزدِي فقتله³⁰².

والثاني: قال الشافعي وابن المنذر ومن وافقهما: لا يقتل، إلا إذا عمل عملاً يبلغ به الكفر؛ ونصره المفسر العلامة القرطبي - رحمه الله - قائلاً: دماء المسلمين محظورة لا تُستباح إلا بيقين، ولا يقين مع الاختلاف. انتهى³⁰³.

ودليلهم ما روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **(لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة)**³⁰⁴.

³⁰² التاريخ الكبير (2268).

³⁰³ الجامع لأحكام القرآن (48/2).

³⁰⁴ صحيح البخاري (6878) كتاب الديات، باب قوله تعالى: {أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون}، واللفظ له؛

وعدم قتل النبي -صلى الله عليه وسلم- للبيد بن الأعصم اليهودي. وكذلك استدلوا بما روى عبدالرزاق في مصنفه عن عمرة بنت عبدالرحمن، أن عائشة -رضي الله عنها- أعتقت جارية لها، عن دُبُرٍ منها، ثم إنها سحرتها، واعترفت بذلك، قالت: (أحببتُ العتق فأمرت بها عائشة ابن أخيها أن يبيعها من الأعراب ممن يُسيءُ ملكتها)، قالت: (وابتغ بثلثيها رقبَةً فأعتقها ففعل)³⁰⁵. قالوا: لو وجب قتلها لما حل بيعها.

وقد أُجيب عن أدلة القول الثاني بعدة أجوبة، فقالوا: استدلالهم بحديث: **(لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث)** فيه نظر من عدة أوجه، منها: ليس السحر الذي لم يكفر صاحبه من الثلاث المذكورة.

وصحيح مسلم (1676) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم.

³⁰⁵ مصنف عبدالرزاق (18749).

واستدلّاهم بعدم قتل النبي -صلى الله عليه وسلم- للبيد بن الأعصم؛ أجابوا عنه بعدة أوجه، ومنها:

الوجه الأول: إما لاحتمال أن لبيدًا لم يعمل السحر بنفسه، وإنما صنعه غيره له، فليس هو الساحر حينئذٍ.

الوجه الثاني: لعل هذا خاص بالذمي إذا كان بين أمير المسلمين وبينهم عهد، هذا على مذهب أبي حنيفة؛ أما على مذهب مالك والشافعي وأحمد فساحر أهل الكتاب لا يُقتل لقصة لبيد بن الأعصم اليهودي.

الوجه الثالث: خشية إثارة الفتنة، وقد جاء هذا صريحًا في اللفظ النبوي.

الوجه الرابع: قيل: يحتمل أن هذا كان قبل أن يثبت حد القتل على الساحر.

الوجه الخامس: وقيل: أن لبيدًا كان منافقًا يظهر الإسلام، فترك قتله لئلا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه.

واستدلالهم ببيع عائشة -رضي الله عنها- مدبرة لها سحرتها، ولو وجب قتلها لما حلَّ بيعها، قاله ابن المنذر.

أجابوا عنه: أن ذلك محمول على أن الجارية لم تعمل السحر بنفسها، وإنما طلبت من ساحر أن يعملها لها، هذا على مذهب مالك والشافعي وأحمد، من قالوا: حكم المرأة الساحرة حكم الرجل، أما أبو حنيفة فقال: تُحبس ولا تُقتل.

والذي عليه علماء السنة المتأخرون هو قول الجمهور، وهو قتل الساحر مطلقاً -ذكرًا أو أنثى-، كان مسلمًا أو ذميًّا، وذلك لأنه لا يُعرف لعمر وجندب وحفصة -رضي الله عنهم- مخالف من الصحابة، والله أعلم.

أما إذا قتل الساحر بسحره شخصًا آخر، فعند مالك والشافعي وأحمد يُقتل، وقال أبو حنيفة: لا يُقتل حتى يتكرر منه ذلك، أو يُقرَّ بذلك في حق شخص مُعيَّن.

وإذا قُتِلَ فإنه يُقتل حدًّا عندهم إلا الشافعي فإنه قال: يُقتل والحالة هذه قصاصًا.

واحكم على الساحر بالتَّكْفِيرِ وحَدُّهُ القَتْلُ بلا نَكِيرِ
كما أتى في السنة المصراحة مما رواه الترمذي وصححه
عن جندبٍ وهكذا في أثر أمر بقتلهم رُوي عن عمر
وصح عن حفصة عند مالكٍ ما فيه أقوى مُرشدٍ للسالكِ.

واختلف أهل العلم في قبول توبته على قولين:

الأول: لا يستتاب وهو مذهب الجمهور والمشهور عن مالك وأحمد، ودليله: أن السحر باطن لا يُظهره صاحبه فلا تُعرف توبته كالزنديق، وإنما يُستتاب من أظهر الكفر مُرتدًا، ولأن الصحابة لم يستتبيوا الساحر، وأن قياسه على المشرك بعيد وذلك لكثرة إفساده، وقياسه على الساحر الذمي لا يصح وذلك لأن الإسلام يجبُ ما قبله، وهذا في أحكام الدنيا وأما ما بينه وبين الله فإن صدق التوبة فالله غافر الذنب وقابل التوب.

الثاني: يُستتاب وهو اختيار الشافعي وأحمد في رواية، وتعليقه: أن ذنب الساحر لا يزيد على ذنب المشرك، والمشرك يستتاب.

والأظهر القول الثاني، والله أعلم.

قال: **(ومنه الصرف والعطف)**

فالصرف: الصاد والراء والفاء أصل يدل على رجوع الشيء، ومن ذلك: صرفت القوم صرفاً وانصرفوا: إذا رجعتهم فرجعوا. وهو صرف الرجل عما يهواه ويحبه؛ كصرفه عن محبة زوجته، وتنقلب المحبة بغضاً، كما قال تعالى: **{فَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَفِرْقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ}**.

والعطف: العين والطاء والفاء أصل صحيح يدل على انتشاء وعياج، يُقال: عطفْتُ الشيء، إذا أملتُهُ وأنعطَفَ.

والتولة: جنسٌ من السحر، وهي صرف الرجل عما يبغضه ويكرهه؛ إلى عكس ذلك، فتتقلب عداوته وبغضه وكراهته إلى مودة ومحبة، كما روى الإمام أبو داود -رحمه الله- في سننه من حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: **(إن الرُّقى والتَّمَائم والتَّوَلَّه؛ شرك)**.

قال المؤلف - رحمه الله -:

التَّوَلَّه: شيءٌ يصنعونه يزعمون أنه يُحَبِّب المرأة إلى زوجها،
والرجل إلى امرأته³⁰⁶. ا.هـ

والصرف والعطف نوعان من أنواع السحر، ولا تتم إلا بطرق
شيطانية، وأعمال سحرية شركية كفرية والعياذ بالله.

فهي ليست أسباباً معتادة، لا طبيعياً ولا عقلياً؛ ولذا: فتأثيرها
فيمن وضعت له شديد -نسأل الله السلامة والعافية-.

قال: (فمن فعله، أو رضي به؛ كفر).

الرضا: الرأى والضاد والحرف المعتل: في أصل مادته يدل على
خلاف السخط؛ ومن تعلم السحر أو علمه غيره، فلا شك ولا
ريب في كفره، ومن رضي به فقد رضي بالكفر، فهو كافر.

تنبيه: ومما ينبغي الحذر منه غاية الحذر: حل السحر عند
الساحر، وهذه تسمى "**النشرة**"، وهي حرام ومن كبائر الذنوب،

³⁰⁶ كتاب التوحيد (96).

وذلك لما روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال عن النشرة: **(هي من عمل الشيطان)** ³⁰⁷.

وَحُمِلَ ما رواه الإمام البخاري في صحيحه -معلقًا- عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته؛ أيحل عنه أو ينشر؟ قال: **(لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع، فلم ينه عنه)**، على نوع من النشرة لا محذور فيه؛ والضرورة لا تبيح التداوي بشرك أو كفر، لما روى الإمام أبو داود في سننه من حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: **(ولا تداوا بحرام)** ³⁰⁸، والإجماع منعقد على تحريم السحر.

³⁰⁷ المسند (14135) قال: حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا عقيل بن معقل، سمعت وهب بن منبه، يُحدث عن جابر بن عبد الله، به. وإسناده صحيح.

³⁰⁸ سنن أبي داود (3874) كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة، قال: حدثنا محمد بن عبادة الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا إسماعيل بن عياش، عن ثعلبة بن مسلم، عن أبي عمران الأنصاري، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله:-

والمسلمون وإن تنازعوا في جواز التداوي بالمحرمات كالهيئة
والخنزير، فلا يتنازعون في أن الكفر والشرك لا يجوز التداوي
به بحال، لأن ذلك محرمٌ في كل حال³⁰⁹. إ.هـ

وقال الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله:-

والسحر حرام وكفر، أفيعمل الكفر لتحيا نفوس مريضة أو
مصابة؟ مع أن الغالب في المسحور أنه يموت أو يختل عقله؛
فالرسول -صلى الله عليه وسلم- منع وسد الباب، ولم يفصل في
عمل الشيطان ولا في المسحور³¹⁰. إ.هـ

تنبيه آخر: الذهاب إلى السحرة والكهان والمنجمين والمشعوذين
والعرافين والرمالين لسؤالهم جرم عظيم، وذنب كبير، يترتب
عليه ما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث صفية، عن
بعض أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم-، عن النبي -صلى الله

³⁰⁹ مجموع الفتاوى (61/19).

³¹⁰ مجموع الفتاوى (165/1).

عليه وسلم- قال: (من أتى عراقًا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)³¹¹، وروى الإمام أحمد وأبوداود والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من أتى عراقًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد)، وغيرها من الأدلة المانعة من اتيانهم والذهاب إليهم.

وأما إذا أضاف لسؤالهم تصديقهم فهو كافر بما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- كما تقدم من دلالة الحديث السابق.

ويلحق بالسحر أنواعه كالتنجيم والعيافة والطيرة والطرق، لما روى الإمام أبو داود في سننه من حديث ابن عباس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من اقتبس شعبةً من النجوم؛ فقد اقتبس شعبةً من السحر، زاد ما زاد)³¹².

³¹¹ صحيح مسلم (2230) كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

³¹² سنن أبي داود (3905) كتاب الطب، باب النظر في النجوم، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه ومسدد -المعنى- قالوا: حدثنا يحيى، عن عبيد الله بن الأخنس، عن الوليد بن عبد الله، عن يوسف بن ماهك، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- به. ورجال إسناده ثقات.

وروى الإمام البخاري في صحيحه عن قتادة قال: "خلق الله هذه النجوم ثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى بها، فمن تأوّل فيها غير ذلك؛ أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به" 313.

وروى الإمام أحمد والإمام أبو داود من حديث قطن بن قبيصة عن أبيه، أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن العيافة والطيرة والطَّرْق من الجبت) 314.

والجبت: هو السحر في قول بعض أهل العلم، لقوله تعالى: {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت

313 صحيح البخاري كتاب بدء الخلق، باب في النجوم.

314 المسند (15915)، من طريق يحيى بن سعيد، عن عوف، عن حيان، عن قطن بن قبيصة، عن أبيه مرفوعاً، به.

وفي (20603)، من طريق روح، عن عوف، عن حيان أبي العلاء، عن قطن بن قبيصة، عن قبيصة بن المخارق مرفوعاً، به.

وحيان بن العلاء مجهول، واختلف في اسمه، ولم يرو عنه غير عوف ابن أبي جميلة الأعرابي، فالحديث ضعيف.

ورواه أبو داود في سننه (3907) بالطريق الأولى.

والطاغوت{³¹⁵، وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-:
"الجبت السحر والطاغوت الشيطان".

والعيافة: هي زجر الطير والحيوان، والاستدلال بأصواتها
وحرركاتها عن ما غاب عنهم.

والطرق: هو الخط في الأرض، أو الضرب بالحصى، ويسمونه
علم الرمل، فيستدلون به على ما يريدون.

والطيرة: هي التشاؤم، وكانوا في الجاهلية إذا خرج أحدهم ورأى
الطير اتجه يميناً تيمناً، وإذا اتجه شمالاً تشاءم؛ روى البخاري
ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن
رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **(لا عدوى، ولا طيرة،
ولا هامة، ولا صَفَرٌ)**، وزاد مسلم: **(ولا نوء، ولا غُول)**³¹⁶.

³¹⁵ سورة النساء الآية <51>.

³¹⁶ صحيح البخاري (5707) كتاب الطب، باب الجذام؛ وصحيح مسلم (2220)
كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غُول، ولا
يورد ممرضٌ على مصحح.

وروى البزار بإسناد جيد عن عمران بن حصين -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (ليس منا من تَطَيَّر أو تُطَيِّر له، أو تَكْهَن أو تُكْهَن له، أو سَحَر أو سُحِر له، ومن عَقَدَ عُقْدَةً -أو قال: من عقد عقدة- ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمدٍ -صلى الله عليه وسلم- (317).

قال البغوي -رحمه الله-:

الكاهن: هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار، ومطالعة علم الغيب.

³¹⁷ مسند البزار (3578)، وقال: حدثنا محمد بن مرزوق، قال: نا شيبان، قال: نا أبو حمزة العطار، عن الحسن، عن عمران بن حصين -رضي الله عنه- مرفوعًا، به. وقال: هذا الحديث قد روي بعض كلامه من غير وجه، فأما بجميع كلامه ولفظه فلا نعلمه يُروى إلا عن عمران بن حصين، ولا نعلم له طريقًا عن عمران بن حصين إلا هذه الطريق، وأبو حمزة العطار بصريٌّ لا بأس به. اهـ. قلت: الحسن هو البصري ثقة إمام لكنه يدرس ويرسل كثيرًا، وسماعه من عمران بن الحصين الراجح صحته، لأن عمران استوطن البصرة، وأبو حمزة العطار البصري هو إسحاق بن الربيع صدوق حسن الحديث، وشيبان هو بن فروخ الحبلي كذلك صدوق، فالحديث إسناده حسن.

والعَرَّافُ: هو الذي يدَّعي معرفة الأمور بمُقدماتٍ أسبابٍ يُستدلُّ بها على مواقعها، كالمسروق من الذي سرقها، ومعرفة مكان الضَّالَّة³¹⁸. ا.هـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

العَرَّاف: قيل: اسمٌ عامٌّ للكاهن، والمُنَجِّم، والرَّمَّال، ونحوهم، ممن يتكلم في تقدم المعرفة بهذه الطرق؛ ولو قيل: إنه في اللغة اسم لبعض هذه الأنواع فسائرُها يدخل فيه بطريق العموم المعنوي كما قيل في اسم الخمر والميسر ونحوهما³¹⁹. ا.هـ

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-:

سؤال العراف ونحوه ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أن يسأله سؤالاً مجرداً، فهذا حرام لحديث مسلم عن بعض أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- (من أتى عرافاً

³¹⁸ شرح السنة (182/12).

³¹⁹ مجموع الفتاوى (173/35).

فسأله عن شيءٍ لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)، فإثبات العقوبة على سؤاله يدل على تحريمه، إذ لا عقوبة إلا على فعل محرم. **القسم الثاني:** أن يسأله فيصدقه ويعتبر قوله، فهذا كفر لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن، حيث قال تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾³²⁰.

القسم الثالث: أن يسأله ليختبره: هل هو صادق أو كاذب، لا لأجل أن يأخذ بقوله، فهذا لا بأس به، ولا يدخل في الحديث؛ وقد سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- ابن صياد، فقال: (ماذا خبأت لك؟) قال: الدُّخ، فقال: (اخسأ فلن تعدو قدرك)³²¹، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- سأله عن شيء أضره له، لأجل أن يختبره، فأخبره به.

³²⁰ سورة النمل الآية <65>.

³²¹ صحيح البخاري (3055) كتاب الجهاد والسير، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي.

القسم الرابع: أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه، فيمتحنه في أمور
يتبين بها كذبه وعجزه، فهذا مطلوب، وقد يكون واجباً³²². ا.هـ

³²² القول المفيد في شرح كتاب التوحيد (533/1-534).

الثامن: مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ، وَمَعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ وَالدَّلِيلُ
قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ} 323.

المُظَاهَرَةُ الضَّادُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ
وَبُرُوزٍ؛ وَالظُّهْرُ: الْمُعِينُ، كَأَنَّهُ أَسَدٌ ظَهَرَ إِلَى ظَهْرِكَ.

والمُظَاهَرَةُ، أَي: الْمَنَاصَرَةُ.

والمَعَاوَنَةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَعَاوَنَةِ، وَأَخْطَرُهَا
قَتَالُ الْمُسْلِمِينَ.

والتَّوَلَّى مِنَ الْوَلَايَةِ وَاتَّخَذَهُمْ أَوْلِيَاءَ؛ وَالْفَرْقُ بَيْنَ التَّوَلَّى
وَالْمَوَالَاةِ: أَنَّ التَّوَلَّى هُوَ النِّصْرَةُ وَالْمَعَاوَنَةُ بِالْمَالِ وَالْبَدَنِ مَحَبَّةٌ
لِدِينِهِمْ، وَذَبُّ عَنْهُمْ، وَتَأْيِيدٌ لَهُمْ، أَوْ اللَّحُوقُ بِدِيَارِهِمْ اخْتِيَارًا لَهُمْ
وَرَغْبَةً عَنِ الْمُسْلِمِينَ؛ وَالْمَوَالَاةُ دُونَ ذَلِكَ؛ فَالتَّوَلَّى رَدَّةٌ صَرِيحَةٌ
وَكُفْرٌ بِوَاحٍ، يَخْرُجُ صَاحِبُهُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَالْمَوَالَاةُ مَعْصِيَةٌ وَفَسْقٌ،
لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}، وَفِي الصَّحِيحِينَ مِنْ

323 سورة المائدة الآية <51>.

حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (المرء مع من أحب)³²⁴.

ومظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين فتنة عظيمة، دعت القلوب فأجابها كل قلب مفتون بحب المشركين؛ مع أن مظاهرة المشركين على المسلمين ومعاونتهم ردة عن الإسلام.

قال الإمام ابن حزم -رحمه الله-:

وصح أن قول الله تعالى: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم}³²⁵، إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار فقط، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين³²⁶. اهـ.

وقال العلامة المفسر محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-:

³²⁴ صحيح البخاري (6168) كتاب الأدب، باب علامة حب الله عز وجل؛ وصحيح مسلم (2639) كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب.
³²⁵ سورة المائدة الآية <51>.
³²⁶ المحلى (33/12).

ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمداً واختياراً
رغبةً فيهم أنه كافر مثلهم³²⁷. اهـ.

وكذلك التشبه بهم فيما هو من خصائصهم إذ مخالفتهم مطلوبة
شرعاً، لما روى الإمام أحمد والإمام أبو داود من حديث ابن
عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه
وسلم-: **(من تشبه بقوم فهو منهم)**³²⁸.

والتشبه بالكفار على أقسام:

القسم الأول: ما يتعلق بعقائدهم وعباداتهم فهذا محرم، ومع
المحبة والمودة يصل بصاحبه إلى الكفر.

³²⁷ أضواء البيان (413/1).

³²⁸ المسند (5114)، وقال: حدثنا محمد بن يزيد يعني الواسطي، أخبرنا ابن ثوبان،
عن حسان بن عطية، عن أبي مُنيب الجُرشي، عن ابن عمر -رضي الله عنهما-
مرفوعاً.

ثوبان هو عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان مختلف فيه.
واخرجه أبو داود (4031) كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، من طريق عثمان بن
أبي شيبه، عن أبي النضر، عن عبدالرحمن ابن ثابت، عن حسان بن عطية به.
والحديث سنده ضعيف لأن مداره على ثوبان وهو آفته.

القسم الثاني: ما يتعلق بالعبادات كسابقه محرم، بشرط عدم الاعتقاد.

القسم الثالث: ما يتعلق بالأمور الدنيوية التي لا علاقة لها بعقيدة ولا أخلاق كالصناعات ونحوها، وذلك عند الحاجة فلا بأس من الاستفادة منها، بشرط أن لا يترتب عليها محذور، كما فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- مع يهود خيبر، وكما استعان النبي -صلى الله عليه وسلم- بعبدالله بن أريقط الديلي للدلالة على طريق المدينة.

وأما إذا كانت المظاهرة ليست في أمور القتال، وليست عن محبة لدينهم، وذنب عنهم، بل بغضهم وعداوتهم والبراءة من دينهم قائمة، وإنما في أمر من الأمور التي قد تحقق للكفار مصلحة، والغرض من المعاونة دنيوي بحت، كرجبة أو رهبة، فهذه معصية ومنكر، واستدل لها بقصة حاطب بن أبي بلتعة -رضي الله عنه-، وأنه كان من المهاجرين، وكان ممن شهد بدرًا، وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم، بل كان حليفًا لهم، فلما عزم النبي -صلى الله عليه وسلم- على فتح مكة

حين نقض أهلها العهد، فأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- المسلمين بالتجهز لغزوهم، وقال: **(اللهم عَمَّ عليهم خبرنا)**، فعمد حاطب فكتب كتابًا وبعثه إلى أهل مكة يُعلمهم بما عزم عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من غزوهم، ليتخذ بذلك عندهم يَدًا، فأطلع الله تعالى على ذلك نبيه -صلى الله عليه وسلم- استجابة لدعائه، فبعث عليًّا والزبير والمقداد، وقال لهم: **(انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها)**، قال علي: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، قلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقينَّ الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عِقَاصِهَا، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(يا حاطب ما هذا؟!)**، قال: لا تعجل عليَّ، إني كنت امرأً مُلصَقًا في قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم

بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(إنه صدقكم)**، فقال عمر -رضي الله عنه- دعني أضرب عنق هذا المنافق! فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم)**، فأنزل الله قوله تعالى: **{ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل}**³²⁹.

³²⁹ سورة الممتحنة الآية <1>.

وقصة حاطب في الصحيحين من حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه-³³⁰.

وقال بعضهم لا يجوز ألبته، لقوله تعالى: **{ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة}**³³¹، أي: تقديم الحظ الدنيوي على الدين، لأن دين الله مقدم على المصالح كلها، وقال تعالى: **{قل إن كان آباؤكم وابناؤكم وإخوانكم أزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين}**³³².

وقصة حاطب ليس فيها دليل لهم، لأنه ورد في بعض طرقها كما في المسند للإمام أحمد -رحمه الله- والصحيح للإمام ابن حبان -رحمه الله- من حديث جابر -رضي الله عنه- وفيه: **(يا**

³³⁰ صحيح البخاري (4274) كتاب المغازي، باب غزوة الفتح؛ وصحيح مسلم (2494) كتاب فضائل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، باب من فضائل أهل بدر -رضي الله عنهم- وقصة حاطب بن أبي بلتعة.

³³¹ سورة النحل الآية <107>.

³³² سورة التوبة الآية <24>.

حاطب أفعلت؟ قال: أما إني لم أفعله غشًا يا رسول الله ولا نفاقًا،
قد علمت أن الله مظهر رسوله ومتم له أمره³³³.

وفي مستدرك الحاكم وصححه ووافقه الذهبي من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: وفيه: **(يا حاطب ما حملك على ذلك؟)** قال: يا رسول الله، أما والله إني لناصح لله ولرسوله، ولكن كنت غريبًا في أهل مكة، وكان أهلي بين ظهرائهم وخشيت عليهم، فكتبْتُ كتابًا لا يضر الله ورسوله، وعسى أن يكون فيه منفعة لأهلي³³⁴.

³³³ المسند (14774) وقال: حدثنا حُجَين، ويونس، قالوا: حدثنا الليث بن سعد، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- به؛ ورواه ابن حبان في صحيحه (4797) كتاب السير، من طريق ابن قتيبة، عن يزيد بن موهب، عن الليث به. والحديث أسانيده صحيحة.

³³⁴ المستدرك (6966) كتاب معرفة الصحابة، وقال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن سنان القزاز، ثنا عمر بن يونس بن القاسم اليمامي، ثنا عكرمة بن عمار، ثنا أبو زميل، قال: قال ابن عباس: قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- : به.

ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يُخرجاه هكذا.
قلت: أبو زميل سماك بن الوليد الحنفي صدوق، وعكرمة بن عمار العجلي صدوق وعنده أغلاط، ومحمد بن سنان القزاز ضعيف، فالحديث ضعيف، ويصلح للشواهد والمتابعات.

فهذا نص صحيح صريح في تأويله، فليس بمتعمد مظاهره الكفار ولا مناصرتهم ولا معاونتهم من أجل المال والولد.

وعليه: قال أهل العلم: حكم الجاسوس في الأصل: القتل، وحاطب منع من قتله كونه من أهل بدر، وكونه تأول، ولا يجتمع الأمران فيمن بعده ألبتة.

ولبعض أهل العلم تقسيم الموالات إلى صغرى وكبرى:

فالصغرى: مثل تصدير الكفار في المجالس، وزيارتهم زيارة مؤانسة لا دعوة، وتهنئتهم بأفراحهم الدنيوية، وإفساح الطريق لهم، وتولييتهم على المسلمين وجعلهم رؤساء ومقدمين عليهم.

والكبرى: هي مودتهم لأجل دينهم وسلوكهم، والرضا بأعمالهم، وتمني انتصارهم على المسلمين، وعدم تكفيرهم، أو التوقف في ذلك والشك فيه، ومظاهرتهم ومعاونتهم على المسلمين.

وأما إذا استعان بهم ضد الأعداء، كالاستعانة بالكفار على قتال الكفار، ففيها قولين:

الأول: المنع مطلقاً، لحديث (ارجع فلن استعين بمشرك)³³⁵.

والثاني: الجواز بشروط: ومنها الحاجة الماسة إليهم، والأمن من مكرهم وخيانتهم بالمسلمين، كما استعان النبي -صلى الله عليه وسلم- بعمه أبي طالب ضد قريش وهم كفار، واستعان بالمطعم بن عدي لكف شر الكفرة المشركين.

ولعل الثاني أرجح، والله أعلم.

وأما الاستعانة بالكفار لقتال المسلمين كالبغاة والخوارج، مع عدم الموالاة: فالجمهور على منعه، وأجازه البعض لأن في ذلك مصلحة للمسلمين وهو كف أيدي البغاة والخوارج عن الأمة، كما استعان النبي -صلى الله عليه وسلم- باليهود في مصلحة المسلمين لما أبقاهم في خيبر مدة مؤقتة للحرث والفلاحة للحاجة الشديدة إليهم بسبب انشغال المسلمين بالجهاد.

³³⁵ رواه الترمذي في جامعه (1558) كتاب السير، باب ما جاء في أهل الذمة يغزون مع المسلمين هل يسهم لهم؟ وقال: حدثنا الأنصاري، قال: حدثنا معن، قال: حدثنا مالك بن أنس، عن الفضيل بن أبي عبدالله، عن عبدالله بن نيار السلمي، عن غروة، عن عائشة -رضي الله عنها- مرفوعاً به؛ فالحديث صحيح.

وعدم موالاة المشركين لا تمنع من القسط والعدل في التعامل معهم، قال تعالى: {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين} ³³⁶، فمعاملتهم بالحسنى هي من باب رد الفعل بمثله، أو من باب تأليف قلوبهم للإسلام.

وكذلك الاستفادة من خبراتهم الدنيوية، واستئجارهم للقيام ببعض هذه الأعمال عند المسلمين، والتعاقد معهم والتعاهد إذا كانت توجد مصلحة للإسلام والمسلمين.

كما يجب مكافأتهم إذا أحسنوا تأليفاً لهم عسى أن يدخلوا في دين الإسلام، أو ينافحوا عنه وعن أهله عند قومهم.

³³⁶ سورة الممتحنة الآية <8>.

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي - صلى الله عليه وسلم-، وأنه يسعُ الخروج عن شريعته -صلى الله عليه وسلم-، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى - عليه السلام-؛ فهو كافر.

واعتقاد هذا فيه أن شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- ليست عامة لجميع الناس، فاليهود يسعهم الخروج عن شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم-، والنصارى يسعهم الخروج عن شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم-؛ وكما يقول متهوك الصوفية: أن العارف المحقق لا يلزمه العمل بشريعة محمد -صلى الله عليه وسلم-، لأنه قد وصل إلى الله، وهو يتلقى المعرفة من الله بلا واسطة! فمن اعتقد هذا فقد كفر.

لأن هذا مصادمة ومناقضة لقوله تعالى: {وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمُ عَنْ سَبِيلِهِ} 337.

337 سورة الأنعام الآية <153>.

وروى الإمام أحمد والإمام الدارمي في مسنديهما، والإمام الحاكم في مستدركه وقال: صحيح الإسناد، من حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "خط رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطأ بيده، ثم قال: (هذا سبيل الله مستقيماً)، قال: ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال: (هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه)، ثم قرأ: {وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله}"³³⁸.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه رأى في يد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ورقة من التوراة، فقال: (أمتهوكون يا ابن الخطاب؟! لقد جئتم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيًّا، واتبعتموه وتركتموني؛ لظللتم)³³⁹.

³³⁸ المسند (4437) واللفظ له؛ والدارمي في مسنده (208) المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي؛ والحاكم في المستدرک (2938-3241) وصحح إسناده، والأقرب أنه حسن، لأجل عاصم بن أبي النجود الكوفي.

³³⁹ المسند (15156)، وقال: حدثنا سريج بن النعمان، قال: حدثنا هشيم، أخبرنا مجالد، عن الشعبي، عن جابر به.

فلا يسع أحدًا كائنًا من كان الخروج عن شريعة محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم-، ومن اعتقد ذلك فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.

كما أنها مناقضة لشهادة أن محمدًا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لأنها تقتضي الإيمان بأنه رسول الله إلى الناس كافة، وأن أحدًا كائنًا من كان لا يسعه الخروج عن شريعته، إذ هي الطريق الوحيدة منذ بعث إلى أن تقوم الساعة الموصلة إلى الله، لقوله تعالى: {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا} ³⁴⁰، وقوله تعالى: {وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيرًا ونذيرًا} ³⁴¹، وقوله عز وجل: {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا} ³⁴².

فيه مجالد بن سعيد ضعيف.

³⁴⁰ سورة الأعراف الآية <158>.

³⁴¹ سورة سبأ الآية <28>.

³⁴² سورة الفرقان الآية <1>.

كما روى الإمام مسلم -رحمه الله- من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون)³⁴³.

وروى -أيضًا- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)³⁴⁴.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- بعد كلام موسع عن من يعتقد أنه يسوغ له الخروج عن شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- كما ساغ للخضر الخروج على شريعة موسى -عليه السلام-:

³⁴³ صحيح مسلم (523) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

³⁴⁴ صحيح مسلم (153) كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته.

كل هذه المقالات من أعظم الجهالات والضلالات، بل من أعظم أنواع النفاق والإلحاد والكفر، فإنه قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام: أن رسالة محمد بن عبدالله -صلى الله عليه وسلم- لجميع الناس؛ عربهم وعجمهم، وملوكهم وزهادهم، وعلمائهم وعامتهم، وأنها باقية دائمة إلى يوم القيامة، بل عامة الثقلين الجن والإنس، وأنه ليس لأحد من الخلائق الخروج عن متابعتة وطاعته وملازمة ما يشرعه لأمرته من الدين، وما سنه لهم من فعل المأمورات وترك المحظورات، بل لو كان الأنبياء المتقدمون قبله أحياء؛ لوجب عليهم متابعتة ومطاوعته، وقال الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} ³⁴⁵، قال ابن عباس: ما بعث الله نبياً إلا وأخذ عليه الميثاق؛ لئن بُعث محمد وهو حيٌّ ليؤمنن به ولينصرنهُ وأمرهُ

³⁴⁵ سورة آل عمران الآية <81>.

بأخذ الميثاق على أمته لئن بُعث محمد وهو حيٌّ ليؤمنن به
ولينصرنه.

إلى قوله: بل قد ثبت بالأحاديث الصحيحة: أن عيسى بن مريم
إذا نزل من السماء؛ فإنه يكون متبعًا لشرعية محمد بن عبدالله -
صلى الله عليه وسلم-؛... بل مما يُعلم بالاضطرار من دين
الإسلام أنه لا يجوز لمن بلغته دعوته أن يتبع شرعية رسول
غيره، كموسى وعيسى؛ فإذا لم يجز الخروج عن شريعته إلى
شرعية رسولٍ، فكيف بالخروج عنه وعن شرعية الرُّسل جميعًا؟!

ثم قال: ومما يبين الغلط الذي وقع لهم في الاحتجاج بقصة موسى
والخضر -عليهما السلام- على مخالفة الشريعة: أن موسى -عليه
السلام- لم يكن مبعوثًا إلى الخضر، ولا أوجب الله على الخضر
متابعته وطاعته، بل قد ثبت في الصحيحين: أن الخضر قال له:
(ياموسى! إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت

على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه³⁴⁶، وذلك أن دعوة موسى -عليه السلام- كانت خاصة.

وقد ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال فيما فضله الله به على الأنبياء؛ قال: (كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)³⁴⁷.

فدعوة محمد -صلى الله عليه وسلم- شاملة لجميع العباد، ليس لأحد الخروج عن متابعتة وطاعته، ولا استغناء عن رسالته، كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى وطاعته؛ مستغنياً عنه بما علمه الله، وليس لأحد ممن أدركه الإسلام أن يقول لمحمد: إنني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، ومن سوغ هذا، أو اعتقد أن أحداً من الخلق الزهاد والعباد أو غيرهم، له الخروج

³⁴⁶ صحيح البخاري (122) كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله؛ وصحيح مسلم (2380) كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام.

عن دعوة محمد -صلى الله عليه وسلم- ومتابعته؛ فهو كافر باتفاق المسلمين، ودلائل هذا في الكتاب والسنة أكثر من أن تذكر هنا. وقصة الخضر ليس فيها خروج عن الشريعة، ولهذا؛ لما بين الخضر لموسى الأسباب التي فعل لأجلها ما فعل؛ وافقه موسى ولم يختلفا حينئذ، ولو كان ما فعله الخضر مخالفاً لشريعة موسى، لما وافقه³⁴⁸. ا.هـ

فلا يجوز لأحد أن يدعي الخروج عن شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- كما يدعيه غلاة الصوفية، ويفسرون قوله تعالى: **{واعبد ربك حتى يأتيك اليقين}**³⁴⁹، أي: العلم والمعرفة، ويقولون من حصل عنده علم ومعرفة جاز له الخروج عن شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم-، ويسقطون عنه التكاليف، وهذا كفر وخروج عن الإسلام باتفاق العلماء.

وهنا مسألتين ننبه عليهما:

³⁴⁸ مجموع الفتاوى (426-422/11) بتصرف.

³⁴⁹ سورة الحجر الآية <99>.

المسألة الأولى:

1-شريعة محمد شاملة عامة كافة وشريعة موسى لقومه خاصة.

2-لا يجوز الخروج عن شريعة الإسلام إلى شريعة نبي آخر،
فما بالك إلى شريعة غيره، ولهذا فلا يجوز لأحد أن يدعي
الخروج عن شريعة الإسلام الخالدة بحجج الدعاوى الصوفية
المتهوكة وتفسيراتهم الباطلة

3-ليس في القصة خروج الخضر -عليه السلام- عن شريعة
موسى -عليه السلام-، بل لما بين الخضر لموسى -عليهما
السلام- الاسباب التي من أجلها فعل ما فعله، وافقه عليها موسى
-عليه السلام-.

4-على الانبياء لو أدركوا الإسلام الذي جاء به محمد -صلى الله
عليه وسلم- وجوب اتباعه، فما بالك بغيرهم.

5- ما فعله الخضر -عليه السلام- كان عن وحي من الله تعالى وأمر منه، لا بمجرد الخيال والإلهام، وعن اجتهد سَوْغ ذلك لنفسه، إذ التخيلات والتوهمات مجرد خزعبلات وليست شرائع.

6- إذا كان المسيح عيسى بن مريم -عليه السلام- إذا نزل من السماء، فإنه يكون متبعًا لشرعية محمد بن عبدالله -صلى الله عليه وسلم-، هذا والمسيح -عليه السلام- نبي رسول، فكيف بمن هو دونه من الأولياء والصالحين، وبعضهم بعيد كل البعد عن الولاية والصلاح، وإنما بدجلهم وتلبيسهم على العامة.

المسألة الثانية:

هل الخضر نبي أم لا؟

القول الأول: أنه نبي؛ ودليلهم:

1- أنه عمل أشياء لا تكون إلا بوحي، كخرق السفينة والناس عليها، وقتل الغلام، وبناء الجدار الذي يريد أن ينقض، ولا يمكن أن يكون ذلك كله بالإلهام كما يقول متهوك الصوفية.

2- أن هذه الأمور التي عملها ليست إلا معجزات؛ والمعجزات لا تكون إلا لنبي.

3- موسى -عليه السلام- نبي رسول، وإنما ذهب يبحث عن الخضر -عليه السلام- ليطالب العلم عنده؛ ففي هذه قرينة تدل على النبوة.

4- قال تعالى حاكياً عنه: {وما فعلته عن أمري}³⁵⁰، فظاهر الآية أنه عمله بوحي، وفي الصحيحين من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال الخضر لموسى -عليهما السلام-: (إنني على علم علمنيه الله ليس عندك، وإنك على علم علمك الله إياه ليس عندي)، والله أعلم.

القول الثاني: أنه ليس نبي؛ ودليلهم:

1- أن الله ذكره بالعلم والعبودية الخاصة والوصف والثناء الجميل، ولم يذكر معها أنه نبي أو رسول.

³⁵⁰ سورة الكهف الآية <82>.

2- قالوا: ليس في قوله تعالى: {وما فعلته عن أمري} دليل على نبوته، وإنما هي دليل على الإلهام، وهذا يكون لغير الأنبياء، قال تعالى: {وأوحى ربك إلى النحل}³⁵¹ ، {وأوحينا إلى أم موسى}³⁵².

وهذا القول عليه الصوفية³⁵³.

وأما من خرج عن الشريعة ولا يستحل الخروج فهذا ضال ليس بكافر.

³⁵¹ سورة النحل الآية <68>.

³⁵² سورة القصص الآية <7>.

³⁵³ انظر: رسالتنا "إثبات نبوة الخضر - عليه السلام-".

**العاشر: الإعراض عن دين الله -لا يتعلمه ولا يعمل به-؛
والدليل قوله تعالى: {ومن أظلم ممن ذكّرَ بآياتِ ربه ثم أعرض
عنها إنا من المجرمين منتقمون} 354.**

الإعراض: العين والراء والضاد بناءً تكثر فروعه وهي مع
كثرتها ترجع إلى أصلٍ واحدٍ، وهو العرض الذي يُخالف الطُّول؛
والإعراض مصدر أَعْرَضَ.

والتعلم: العين واللام والميم أصل صحيح واحد يدلُّ على أثرٍ
بالشيء يتميَّز به عن غيره، والعلم نقيض الجهل.

والعمل: العين والميم واللام أصل واحد صحيح عامٌّ في كُلِّ فعلٍ
يُفْعَلُ، قال الخليل: عَمِلَ يَعْمَلُ عَمَلًا، فهو عاملٌ، واعتَمَلَ الرَّجُلُ،
إذا عَمَلَ بنفسه.

قال الراجز: [من مشطور الرجز]

إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَبْيَكَ يَعْتَمَلُ إِنَّ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَكَلَّمُ.

354 سورة السجدة الآية <22>.

والمقصود كفر الإعراض أحد أنواع الكفر الأكبر المخرج من الملة؛ فالاعراض عن تعلم أصل الدين الذي به يكون المرء مسلمًا، ولو كان جاهلاً بتفاصيل الدين؛ لأن هذا قد لا يقوم به إلا كل من له صلة بالعلم.

فالاعراض عن دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- وعدم الإصغاء لها والتأمل والتجاوب معها؛ ضرب من ضروب الكفر والعياذ بالله.

ويدخل في هذا من كان مُظهرًا للإسلام، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لكنه لا يبالي بحلال ولا حرام، ولا يعمل بشيء من الدين، فلا صلاة ولا زكاة ولا صيام ولا حج ولا تورع من فعل محرم وارتكاب كبيرة، فهذا مناقض للشهادتين كليًا، فإن من شروط أن لا إله إلا الله الانقياد المنافي للاعراض، ومن مقتضيات محمد رسول الله طاعته فيما أمر وترك ما عنه نهى وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

وقال تعالى: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليُظهره
على الدين كله}³⁵⁵، فالهدى هو العلم النافع، ودين الحق هو
العمل الصالح، فمن أعرض عن العلم شابه النصارى، ومن
أعرض عن العمل شابه اليهود.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-:

أما الكفر الأكبر، فخمسة أنواع:

إلى قوله: وأما كفر الإعراض فإنه يُعرض بسمعه وقلبه عن
الرسول -صلى الله عليه وسلم-؛ لا يصدق ولا يكذب، ولا يواليه
ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة³⁵⁶. اهـ.

ويرى بعض أهل العلم أن عبادة القبور المعاصرين يعتبرون
معرضون عما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- إعراضًا
كليًا بأسماعهم وقلوبهم، ولا يصغون لنصح ناصح وإرشاد
مرشد، فمثل هؤلاء كفار لإعراضهم كما قال سبحانه: {والذين

³⁵⁵ سورة التوبة الآية <33>.

³⁵⁶ مدارج السالكين (346/1-347).

كفروا عما أنذروا معرضون³⁵⁷، ولا يُقال جهال فلا يكفرون لجهلهم؛ لأن الجاهل إذا بينت له الخطأ تركه وانقاد للحق؛ وهؤلاء مصرون على الشرك والباطل من عبادة الأوثان والقبور، فلا عذر لهم سوى العناد، قال جل وعلا: **{ومن أظلم ممن ذكّر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون}**³⁵⁸.

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن -رحمه الله-: إذا عدم الأصل الذي يدخل به في الإسلام، وأعرض عن هذا بالكلية؛ فهذا كفر إعراض، لقوله تعالى: **{ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس}** الآية³⁵⁹، وقوله سبحانه: **{ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشةً ضنكًا}**³⁶⁰.

وقال الشيخ سليمان بن سحمان -معلقًا-:

³⁵⁷ سورة الأحقاف الآية <3>.

³⁵⁸ السجدة الآية <22>.

³⁵⁹ سورة الأعراف الآية <179>.

³⁶⁰ سورة طه الآية <124>.

فتبين من كلام الشيخ أن الإنسان لا يكفر إلا بالإعراض عن تعلم الأصل الذي يدخل به الإنسان في الإسلام، لا بترك الواجبات والمستحبات. ا.هـ³⁶¹

تنبيه: المعرض عن تعلم دين الله والعمل به كسلًا لا يكفر، ولكنه مخطئ ويُلام ويؤنب، لأن ترك العلم سبب لأن يعمل بعد ذلك بجهل فيكون كالنصارى الضالين، وإذا تعلم ولم يعمل كان كاليهود المغضوب عليهم.

³⁶¹ الدرر السنية في الأجوبة النجدية (360/8) و(473/10).

قال -رحمه الله-:

(ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف،
إلا المُكْرَه)

الهزل ضد الجد، والهاء والزاي واللام أصل صحيح، وهو من مرادفات المُزاح والفكاهة، وهو الذي لا يقصد وإنما من باب المزاح واللعب.

والجاد اسم فاعل، والجد نقيض الهزل، والمقصود الذي يقصد ما يقول وما يفعل.

و كون الهازل والجاد سواء، فيه رد على المرجئة الذين يقولون: لا يكفر حتى يعتقد بقلبه.

الخائف الخاء والواو والفاء أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على الدُّعْر والْفَرَع؛ وهو اسم فاعل، والخوف يكون على المال والجاه.

المُكْرَه الكاف والراء والهاء أصل صحيح واحد يُدُلُّ على خلاف الرضا والمحبة؛ وهو بفتح الراء، اسم مفعول.

والفرق بين الخائف والمكره: أن المكره لا اختيار له ولا رضا، أما الخائف فله اختيار بين الفعل وتركه.

وقوله: **(إلا المكره)**

لم يذكر المؤلف -رحمه الله- من موانع التكفير إلا هذا، وموانع التكفير ستة، وهي:

الأول: الإكراه:

الكره والكُره لغتان، فبأي لغة وقع فجائز.

وهو بالضم المشقة، يُقال: قمت على كُره، أي: على مشقة. وأقامني على كُره، أي: أكرهني على القيام؛ ومنه قوله تعالى: **{طوعاً أو كرهاً}**³⁶²، فقابل بين الضدين.

والإكراه هو إلزام الغير بما لا يريده، أو الإلجاء إلى فعل الشيء قهراً.

³⁶² سورة فصلت الآية <11>.

ويكون الإكراه بالقول والفعل، أما بالقول فإجماعاً، وأما بالفعل فالجمهور وهو المختار، وأما خصوص السبب في الآية فالعبرة بعموم اللفظ، ولعل العذر في الفعل أبلغ لكثرة الإكراه به في هذه الأزمنة المتأخرة، ولعموم قوله تعالى: {إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان}، فلم يُفرق فيها بين الأقوال والأعمال. والله أعلم.

ودليل عذر الإكراه، قوله تعالى: {من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذابٌ عظيم} 363.

ويكون الإكراه بشرطين:

الأول: أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان.

والثاني: أن يدفع عن نفسه الإكراه فقط، بحيث يغلب على ظنه أن من أكرهه قادر على إيقاع ما هدد به، ويغلب على ظنه - أيضاً - أنه إذا تأخر عن الفعل أو القول فسيقع التهديد لا محالة،

363 سورة النحل الآية <106>.

وبعضهم قال: الوعيد بذاته يعتبر إكراهًا وخصوصًا الوعيد بالقتل. والله أعلم.

ودليله هذه الآية، وقصة عمار بن ياسر -رضي الله عنه-.

روى الإمام الحاكم في مستدركه، والإمام البيهقي في سننه الكبرى عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال: (أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي -صلى الله عليه وسلم- وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ما وراءك؟" قال: شر يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، قال: "كيف تجد قلبك؟"، قال: مطمئنًا بالإيمان، قال: "إن عادوا فعد" ³⁶⁴.

³⁶⁴ المستدرک (3362) کتاب التفسیر، تفسیر سورة النحل، وقال: أخبرنا عبدالرحمن بن حمدان الجلاب، بهمدان، ثنا هلال بن العلاء الرقي، ثنا أبي، ثنا عبيدالله بن عمرو الرقي، عن عبدالكريم، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه، به. ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه. هـ. والسنن الكبرى للبيهقي (16896) من طريق الحاكم بالإسناد هذا.

فأنزل الله تعالى: {إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان} ³⁶⁵،
 وقوله سبحانه: {لا يتخذ المؤمنون الكافرين من دون المؤمنين
 أولياء ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم
 تقاة} ³⁶⁶.

فهذا دليل وأصل وقاعدة في قول كلمة الكفر حال الإكراه، مع
 أن هذا في أصل الشريعة، ففي فروعها من باب أولى.

قال ابن العربي -رحمه الله-:

لما سمح الله تعالى في الكفر به، وهو أصل الشريعة، عند
 الإكراه، ولم يؤاخذ به، حمل العلماء عليه فروع الشريعة، فإذا
 وقع الإكراه عليها لم يؤاخذ به، ولا يترتب حكم عليه ³⁶⁷. ١. هـ

قلت: هلال بن العلاء بن هلال بن عمر الرقي الباهلي صدوق، يرويه عن أبيه العلاء
 بن هلال وهو ضعيف جداً، والعلة الأخرى في السند عبدالكريم، فعبيدالله بن عمرو
 يروي عن عبدالكريم بن مالك الجزري وهو ثقة، وعن عبدالكريم بن أبي المخارق
 وهو متروك، والذي يظهر أنه الثقة لأنه هو الذي يروي عن أبي عبيدة بن محمد بن
 عمار.

³⁶⁵ سورة النحل الآية <106>.

³⁶⁶ سورة آل عمران الآية <28>.

³⁶⁷ أحكام القرآن (163/3).

قال المؤلف - رحمه الله -:

لم يعذر الله إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنًا بالإيمان، وأما غير هذا؛ فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفًا أو مداراة أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله أو فعله على وجه المزح أو لغير ذلك من الأغراض؛ إلا المُكْرَه؛ فالآية تدل على هذا من جهتين: الأولى قوله: **{إلا من أكره}**، فلم يستثن الله تعالى إلا المُكْرَه، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل، وأما عقيدة القلب؛ فلا يكره عليها أحد، والثانية قوله تعالى: **{ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة}**، فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه أن في ذلك حظًا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين ³⁶⁸. ا.هـ

ولهذا جرت أحكام الدنيا على الظاهر، فالمنافق يعيش بين المسلمين منافقًا، وقلبه منطوٍ على الكفر، والعكس صحيح

³⁶⁸ كشف الشبهات في التوحيد (56-57).

فالمؤمن بين الكفار الذين لا يستطيع أن يتخلص من شرهم يعيش مؤمناً بالله، وهو في ظاهره كافر.

والإكراه على حالتين:

الحالة الأولى: أن يُضرب ويُعذب فهذا معذور أن يُجيب بلسانه.

والحالة الثانية: أن يُهدد من دون فعل، فهل يُعذر أم لا؟ على

قولين: الراجح العذر، خاصة إذا كان الذي توعده معروف عنه

التنفيذ، ورحم الله ابن الوردي حين قال في لاميته: [من بحر الرمل]

جانب السلطان وأحذر بطشه لا تخاصم من إذا قال فعل.

ومما ينبغي التنبيه عليه: أنه لا تعارض بين أدلة الإكراه وأدلة

الصبر على الدين، فالإكراه رخصة، والصبر لمن قدر على ذلك

أفضل وأعظم أجراً.

قال الإمام القرطبي -رحمه الله-:

أجمع العلماء على أن من أكره على الكفر فاختر القتل: أنه أعظم

أجراً عند الله ممن اختار الرخصة.

واختلفوا فيمن أكره على غير القتل من فعل ما لا يحل له، فقال أصحاب مالك: الأخذ بالشدة في ذلك واختيار القتل والضرب أفضل عند الله من الأخذ بالرخصة، ذكره ابن حبيب وسحنون. وذكر سحنون عن أهل العراق: أنه إذا تهدد بقتل أو قطع أو ضرب يخاف منه التلف فله أن يفعل ما أكره عليه، من شرب خمر أو أكل لحم خنزير، فإن لم يفعل حتى قُتل، خفنا أن يكون آثمًا لأنه كالمضطر.

وروى خباب بن الارت -رضي الله عنه- قال: شكونا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو متوسد بُردةً له في ظل الكعبة، فقلْتُ: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، فيُجعل فيه، فيُجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه)**³⁶⁹.

³⁶⁹ صحيح البخاري (3612-6943) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، وكتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر.

ثم قال -رحمه الله-:

فوصفه -صلى الله عليه وسلم- هذا عن الأمم السالفة على جهة المدح لهم، والصبر على المكروه في ذات الله، وأنهم لم يكفروا في الظاهر، وتبطنوا بالإيمان ليدفعوا العذاب عن أنفسهم، وهذه حجة من أثر الضرب والقتل والهوان على الرخصة³⁷⁰. اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-:

والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه ولو أفضى إلى قتله³⁷¹. اهـ.

الثاني: الجهل:

ضد العلم، وهو خلو النفس من العلم؛ أو اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه؛ ودليله قوله تعالى: {ولكن أكثرهم يجهلون}³⁷².

³⁷⁰ الجامع لأحكام القرآن (10/188-189).

³⁷¹ تفسير القرآن العظيم (4/606).

³⁷² سورة الأنعام الآية <111>.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبيته: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحدًا، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: أجمعي ما فيك منه، ففعلت فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له)³⁷³.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

فهذا الرجل ظن أن الله لا يقدر عليه إذا تفرق هذا التفرق، فظن أنه لا يعيده إذا صار كذلك، وكلّ واحدٍ من إنكار قدرة الله تعالى وإنكار معاد الأبدان وإن تفرقت كفر، لكنه كان مع إيمانه بالله وإيمانه بأمره، وخشيته منه، جاهلاً بذلك، ضالاً في هذا الظن

³⁷³ صحيح البخاري (3481- 7508) كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، وكتاب التوحيد، باب قوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ} سورة الفتح الآية <15>؛ ومسلم (2756) كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

مخطئًا، فغفر الله له ذلك، والحديث صريح في أن الرجل طمع أن لا يعيده إذا فعل ذلك، وأدنى هذا أن يكون شاكًا في المعاد، وذلك كفر إذا قامت حجة النبوة على منكره حكم بكفره³⁷⁴. ا.هـ

وقال في موضع آخر:

فهذا شك في قدرة الله وفي إعادته إذا دُرِي، بل اعتقد أنه لا يُعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، ولكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمنًا يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك³⁷⁵. ا.هـ

وقال الإمام الخطابي -رحمه الله-:

وقد يُسأل عن هذا، فيقال: كيف يُغفر له وهو منكرٌ للبعث والقدرة على إحيائه وإنشاره؟ فيقال: أنه ليس بمنكر للبعث وإنما هو رجلٌ جاهل، ظن أنه إذا فعل به هذا الصنيع تُرك فلم يُنشر ولم

³⁷⁴ مجموع الفتاوى (409/11).

³⁷⁵ مجموع الفتاوى (231/3).

يُعذب،... وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية الله³⁷⁶. إ.هـ

وقال العلامة ابن قيم الجوزية -رحمه الله:-

وأما من جحد ذلك جهلاً أو تأويلًا يعذر فيه صاحبه، فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه، وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح، ومع هذا فقد غفر الله له، ورحمه لجهله، إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه ولم يجحد قدرة الله على إعادته عنادًا أو تكذيبًا³⁷⁷. إ.هـ

وقال الإمام ابن الوزير اليماني -رحمه الله:-

وإنما أدركته الرحمة لجهله وإيمانه بالله والمعاد ولذلك خاف العقاب، وأما جهله بقدرة الله تعالى على ما ظنه محالاً فلا يكون كفرًا إلا لو علم أن الأنبياء جاءوا بذلك، وأنه ممكن مقدور ثم

³⁷⁶ أعلام الحديث (3/1565).

³⁷⁷ مدارج السالكين (367/1).

كذبهم أو واحدًا منهم، لقوله تعالى: {وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولاً} ³⁷⁸، وهذا أرجى حديث لأهل الخطأ في التأويل ³⁷⁹. ا.هـ

وقال المؤلف -رحمه الله-:

وأما ما ذكره الأعداء عني أنني أكفر بالظن وبالموالاتة أو أكفر
الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة فهذا بهتان عظيم ³⁸⁰. ا.هـ

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله-:

إن تكفير الشخص المُعيَّن وجواز قتله موقوف على أن تبلغه
الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس من جهل شيئاً من
الدين يكفر ³⁸¹. ا.هـ

وقال تلميذه ابن القيم -رحمه الله-: في المدارج (367/1):

³⁷⁸ سورة الإسراء الآية <15>.

³⁷⁹ إيثار الحق على الخلق (436).

³⁸⁰ مجموع رسائله (25/6).

³⁸¹ الاستغاثة (252).

بعد تحرير الكلام في تكفير من هجر فريضة من فرائض الإسلام أو أنكر صفة من صفات الله تعالى أو أنكر خبراً أخبر الله به عمداً، قال: وأما جحد ذلك جهلاً أو تأويلاً يُعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به³⁸². اهـ

وروى الإمام أحمد في مسنده والإمام الترمذي في جامعه من حديث أبي واقد الليثي -رضي الله عنه- قال: خرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر، قال: فمررنا بشجرة، قلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، وكان للكفار سدرة يعكفون حولها ويعلقون بها أسلحتهم يدعونها ذات أنواط، فلما قلنا ذلك للنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (الله أكبر قلتم والذي نفسي بيده كما

³⁸² مدارج السالكين (348/1).

قالت بنو إسرائيل لموسى {اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون}، لتركبن سنن من كان قبلكم³⁸³.

قال أهل العلم: المسلم الذي يكون بعيدًا في بادية من البوادي وشعب من الشعاب، أو الذي هو حديث عهد بإسلام إذا فعل ما يجعله مشرّكًا كدعاء الأموات وعبادة الأصنام والأحجار والأشجار، فهذا حكمه حكم أهل الفترة، ولكن لا يسمى مسلمًا، وأمره إلى الله يوم القيامة، يمتحن فإن أجاب دخل الجنة وإن لم يجب دخل النار.

وأما الجاهل الذي في أوساط المسلمين، فواجب عليه تعلم أصول دينه وأساسه، كالتوحيد والصلاة والصيام والزكاة وما علم من

³⁸³ المسند (1897) قال: حدثنا حجاج، حدثنا ليث يعني ابن سعد، حدثني عقيل بن خالد، عن ابن شهاب، عن سنان بن أبي سنان الدؤلي ثم الجندعي، عن أبي واقد الليثي به.

ابن شهاب هو الزهري، وحجاج هو ابن محمد المصيصي فالإسناد صحيح. وأخرجه الترمذي (2180) كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، من طريق سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، عن سفيان، عن الزهري به. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الدين بالضرورة، لأن ترك ذلك وهو في أوساط الناس جهل فظيع، وتهاون شديد، لا ينبغي إقراره ولا العذر به.

وعليه: فالعذر بالجهل لا يُعذر به إلا من كان حديث عهد بإسلام، أو في منطقة نائية، أو لم تبلغه حجة القرآن والسنة، كمن ولد في بلد تدعى مسلمة، وأهل مسلمون، ولكن اسم دون مسمى، وكان الأمر دقيقاً خافياً، فإن بعض هذه البلدان تستحل الربا، تحت مسميات كثيرة، فربما إذا نشأ على ذلك يلتبس عليه الأمر، فمثل هذا يعذر بالجهل؛ أما من كان بين المسلمين وبلغه القرآن والسنة، وعنده العلماء وطلاب العلم وكتب العلم، فهذا مُتساهل لا يُعذر، قال تعالى: **{وأوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ}**³⁸⁴، وقال سبحانه: **{هذا بلاغ للناس}**³⁸⁵.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

³⁸⁴ سورة الأنعام الآية <19>.

³⁸⁵ سورة إبراهيم الآية <52>.

حُجَّة الله برسله قامت بالتمكن من العلم، فليس من شرط حجة الله تعالى علم المدعوين بها، ولهذا لم يكن إعراض الكفار عن استماع القرآن وتدبره مانعًا من قيام حُجَّة الله تعالى عليهم³⁸⁶. ا.هـ

وقال الإمام عبدالعزيز بن باز -رحمه الله:-

من قال: لا أعرف أن الناس يصلون، ما أدري عن الصلاة، ولا أعرف الزكاة، ولا أعرف الصيام، ولا أعرف الجهاد، هذا لا يُطاع، لأن هذا من التلاعب بالدين³⁸⁷. ا.هـ

وأكبر دليل على عدم العذر بالجهل ما روى الإمام مسلم -رحمه الله- في صحيحه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن**

³⁸⁶ الرد على المنطقيين (99).

³⁸⁷ مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (219/28).

بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)³⁸⁸، فمجرد سماعه ببعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- قامت الحجة عليه.

ومنه: قوله -صلى الله عليه وسلم-: **(إن أبي وأباك في النار)**³⁸⁹، فهل أم النبي -صلى الله عليه وسلم- عندها علم بالدين؟ هل حضرت الإسلام والنبوة؟ عاشت على الجاهلية ولم تعذر، لأنها عاشت على بقية دين إبراهيم -عليه السلام-؛ فمن باب أولى من يعيش بين المسلمين ويفرط في ذلك لا يعذر بالجهل.

وعليه: فلا يُعذر بالجهل إلا في الأمور الدقيقة الخفية التي قد تخفى على بعض أهل العلم.

وهنا تنبيه: تترتب عليها مسألة إذا مات على الشرك وهو جاهل فحكمه حكم المشركين لا يصلّى عليه ولا يجهز ولا يرثه المسلمون وأمره إلى الله.

³⁸⁸ صحيح مسلم (153) كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم- إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته.

³⁸⁹ رواه مسلم (203) كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعاة، ولا تنفعه قرابة المقربين.

الثالث: الخطأ.

ضد الصواب، والخطأ العدول عن الجهة؛ فكأنه يُريد أمرًا فيقع في غير مراده.

ودليله قوله تعالى: {ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا}³⁹⁰، وفي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال -صلى الله عليه وسلم-: (قد فعلت)³⁹¹.

وروى ابن ماجه وابن حبان والدارقطني والحاكم من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه

³⁹⁰ سورة البقرة الآية <286>.

³⁹¹ صحيح مسلم (126) كتاب الإيمان، باب بيان قوله تعالى: {وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه}.

وسلم-: (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)³⁹².

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-:

الخطأ: هو أن يقصد بفعله شيئاً فيصادف فعله غير ما قصده،
مثل: أن يقصد قتل كافر فصادف قتله مسلماً³⁹³. اهـ.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمرو بن العاص -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه

³⁹² سنن ابن ماجه (2045) كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، وقال: حدثنا محمد بن المصطفى الحمصي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، عن عطاء، عن ابن عباس، به.

والحديث منقطع فعطاء لم يسمع من ابن عباس -رضي الله عنهما-، الواسطة بينهما عبيد بن عمير وأخل بذكره الوليد بن مسلم صاحب الأوهام؛ وصحيح ابن حبان (7219) كتاب إخباره -صلى الله عليه وسلم- عن الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين-، من طريق وصيف بن عبد الله الحافظ، عن الربيع بن سليمان المرادي، عن بشر بن بكر، عن الأوزاعي، به.
وهذا إسناد متصل صحيح.

وسنن الدارقطني (4351) كتاب النذور، من طريق أبو محمد بن صاعد، وأبو بكر النيسابوري، وموسى بن جعفر بن قرين وأحمد بن إبراهيم بن حبيب الزراد، وعبد الله بن أحمد بن إسحاق المصري، قالوا: نا الربيع، بمثل طريق ابن حبان.
³⁹³ جامع العلوم والحكم (367/2).

وسلم- يقول: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)³⁹⁴.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

وأما التكفير فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- وقصد الحق، فأخطأ لم يكفر، بل يغفر له خطؤه، ومن تبين له ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- فشاق الرسول -صلى الله عليه وسلم- من بعد ما تبين له الهدى، واتبع غير سبيل المؤمنين؛ فهو كافر، ومن اتبع هواه، وقصر في طلب الحق، وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب، ثم قد يكون فاسقاً، وقد يكون له حسنات ترجح على سيئاته³⁹⁵. اهـ.

وقال في موضع آخر:

³⁹⁴ صحيح البخاري (7352) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ؛ وصحيح مسلم (1716) كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.

³⁹⁵ مجموع الفتاوى (180/12).

وليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين، وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، وإزالة الشبهة³⁹⁶. اهـ.

ومثاله: حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- في صحيح الإمام مسلم -رحمه الله-، وفيه: (اللهم أنت عبيدي وأنا ربك)³⁹⁷.

ويكون لغلبة فرح أو غضب أو ماشابه.

الرابع: التأويل:

أول في اللغة بمعنى رجع؛ وقال أبو عبيدة: التأويل: المرجع والمصير، وله عدة معان، منها:

أن يُراد به حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره؛ أو بمعنى التفسير؛ أو صرف اللفظ عن ظاهره إلى ما يخالف ذلك لدليل منفصل أوجب ذلك.

وهو من الأعدار المتفق عليها كالجهل والخطأ والإكراه.

³⁹⁶ مجموع الفتاوى (466/12).

³⁹⁷ رواه مسلم في صحيحه (2747) كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها.

قال الإمام ابن الوزير -رحمه الله-:

إن المتأولين غير كفار، لأن صدورهم لم تنتشر بالكفر قطعاً أو ظناً أو تجويزاً أو احتمالاً،... قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- عن الخوارج: من الكفر فروا.

فكذلك جميع أهل التأويل من أهل الملة، وإن وقعوا في أفحش البدع والجهل، فقد علم منهم أن حالهم في ذلك هي حال الخوارج.
398هـ.

فمن ارتكب فعلاً كفريةً معتقداً مشروعيته أو إباحته لدليل يرى صحته أو لأمر يراه عذراً له وعنده شبهة تأويل في ذلك وكان التأويل مما يُحتمل، وهو مخطئ في هذا كله، فإنه يُعذر ولعل أهل السنة مجمعون على هذا المانع.

والدليل عليه عموم قوله تعالى: {وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم} 399.

398 إيثار الحق (437).

399 سورة الأحزاب الآية <5>.

والصحابية لم يكفروا قدامة بن مظعون -رضي الله عنه- لما شرب الخمر معتقداً أنها تحل له ولأمثاله، متأولاً قول تعالى: **{ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُنَاحٌ فيما طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا}**⁴⁰⁰، فإن الصحابة لم يكفروه وهو استحلها ابتداءً لأجل الشبهة التي عرضت لهم حتى يتبين لهم الحق، فإن أصروا على الجحود وكفروا⁴⁰¹.

وأيضاً أن الصحابة -رضوان الله عليهم- لم يكفروا الخوارج الذين خرجوا عليهم وحاربوهم واستحلوا دمائهم، وكفروا رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أحد المشهود لهم بالجنة، ومع هذا لم يكفرهم الصحابة لأجل مانع التأويل. والله أعلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

⁴⁰⁰ سورة المائدة الآية 93.<

⁴⁰¹ المصنف لعبد الرزاق (17075-17076)، ومصنف ابن أبي شيبة (28635) ت: (الحوت)، وسنن البيهقي (17579).

إن المتأول الذي قصد متابعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا يُكفر، بل ولا يُفسق إذا اجتهد فأخطأ، وهذا مشهور عند الناس في المسائل العلمية، وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفر المخطئين فيها، وهذا القول لا يُعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع⁴⁰². ١. هـ

وقال الحافظ -رحمه الله- في "الفتح":

قال العلماء كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم إذا كان تأويله سائغاً في لسان العرب، وكان له وجه في العلم⁴⁰³. ١. هـ

وأما التأويلات التي لا يُعذر أصحابها، فمثل تأويلات الفلاسفة والباطنية وأشباههم ممن حقيقة أمرهم التكذيب للدين في جملته أو على وجه التفصيل.

الخامس: التقليد:

⁴⁰² منهاج السنة النبوية (239/5).

⁴⁰³ فتح الباري (304/12).

أصل مادة التقليد في اللغة: وضع الشيء في العنق محيطاً به،
ومنه: تقليد الهدي.

قالت الخنساء: [من بحر المتقارب]

يُكَلِّفُهُ الْقَوْمَ مَا عَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرُهُمْ مَوْلِدًا.

وهو قبول قول الغير بلا حجة، أو قبول قول القائل وأنت لا تعلم
من أين مأخذه.

فهل يجوز التقليد في العقائد كالأحكام، المسألة فيها قولان:

القول الأول: جواز التقليد في الاعتقاد، وهو مذهب جمهور
الأمة، وهو الصحيح.

وذلك أن الأصول والفروع قد استويا في التكليف بهما، فلما جاز
في الفروع جاز في الأصول، ولا دليل على التفريق بينهما، وأن
وجوب النظر على جميع الأمة يقتضي تضليل أو تكفير عوام
المسلمين، وهذا تكليف ما لا يطاق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

أما في المسائل الأصولية فكثير من المتكلمة والفقهاء من أصحابنا وغيرهم من يوجب النظر والاستدلال على كل أحد،... وأما جمهور الأمة فعلى خلاف ذلك، فإن ما وجب علمه إنما يجب على من يقدر على تحصيل العلم، وكثير من الناس عاجز عن العلم بهذه الدقائق، فكيف يكلف العلم بها؟⁴⁰⁴. إ.هـ

القول الثاني: لا يجوز التقليد في الاعتقاد، وهو مذهب المتكلمين والأصوليين، ولذا: يُحرّمون التقليد في العقائد، ولكنه قول مرجوح بما تقدم في القول الأول.

وقد استدلوا بأن النظر واجب لقوله تعالى: {إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار} الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فكنا عذاب النار⁴⁰⁵، وفرقوا بين العقائد والأحكام بأن العقائد

⁴⁰⁴ مجموع الفتاوى (202/20).

⁴⁰⁵ سورة آل عمران الآيات <190-191>.

مطلوب فيها العلم واليقين، والأحكام مطلوب فيها الظن وهو حاصل بالتقليد.

وأجيب عن هذا: أن النزاع في وجوب النظر على كل مكلف لا في أصل النظر.

وهذا كله لمن عجز عن الاستدلال أو الاجتهاد، ولعل الظاهر من كلام العلماء أن العذر بالتقليد من جنس العذر بالجهل والتأويل، لأن المقلد جاهلاً لا يفهم الحجة، فالعذر للمتأول إذا وقع في الكفر مع علمه واجتهاده، فالعذر لمن قلده من عوام المسلمين من باب أولى.

وهنا كلام جميل لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بعد أن تكلم على كفر وضلال أهل الحلول والاتحاد من غلاة الصوفية، قال: فكل من كان أخبر بباطن هذا المذهب، ووافقهم عليه، كان أظهر كفرًا وإلحادًا، وأما الجهال الذين يحسنون الظن بقول هؤلاء ولا يفهمونه، ويعتقدون أنه من جنس كلام المشايخ العارفين، الذين يتكلمون بكلام صحيح لا يفهمه كثير من الناس، فهؤلاء تجد فيهم

إسلامًا وإيمانًا ومتابعة للكتاب والسنة بحسب إيمانهم التقليدي،
وتجد فيهم إقرارًا لهؤلاء وإحسانًا للظن بهم، وتسليمًا لهم بحسب
جهلهم وضلالهم، ولا يتصور أن يثني على هؤلاء إلا كافرًا
ملحد، أو جاهل ضال⁴⁰⁶. ا.هـ

وقال في موضع آخر:

وأما المنتسبون إلى الشيخ يونس: فكثير منهم كافر بالله ورسوله،
لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحج
البيت العتيق، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، بل لهم من
الكلام في سب الله ورسوله والقرآن والإسلام ما يعرفه من
عرفهم؛ أما من كان فيهم من عامتهم لا يعرف أسرارهم
وحقائقهم، فهذا يكون معه إسلام عامة المسلمين الذي استفاده من
سائر المسلمين لا منهم⁴⁰⁷. ا.هـ

⁴⁰⁶ مجموع الفتاوى (267/2).

⁴⁰⁷ مجموع الفتاوى (106/2-107).

**والعلامة ابن قيم الجوزية - رحمه الله - كلام نفيس في ذكر أقسام
أهل البدع، قال فيه:**

أما أهل البدع الموافقون أهل الإسلام، ولكنهم مخالفون في بعض
الأصول كالرافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم،
فهؤلاء أقسام:

أحدهما: الجاهل المقلد الذي لا بصيرة له، فهذا لا يكفر ولا
يفسق، ولا ترد شهادته إذا لم يكن قادرًا على تعلم الهدى، وحكمه
حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا
يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا، فأولئك عسى الله أن يعفو
عنهم وكان الله غفورًا رحيماً⁴⁰⁸. إلخ

السادس: التكليف:

ويشمل الجنون والصغر.

⁴⁰⁸ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (146).

وشروط التكفير، وهي:

الأول: التكليف: ويشمل العقل والبلوغ، فلا يكفر غير البالغ، أو غير العاقل إذا ارتكب ناقضًا من جملة النواقض.

الثاني: العلم: فالجهل من موانع التكفير.

الثالث: القصد: أما المخطئ فمعذور.

الرابع: الاختيار: فلا يكفر المكره.

الخامس: عدم التأويل: إذ التأويل مانع من التكفير.

مسألة تكفير المُعين:

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أنه لا يحكم على الشخص المعيّن بالكفر حتى تجتمع فيه شروط التكفير وتنتفي عنه جميع الموانع، فهم يفرقون بين التكفير المطلق وبين التكفير المعيّن، أو بين تكفير العمل وتكفير العامل، فقد يفعل الإنسان عملاً بالاتفاق أنه يكفر به، لكن لا نكفر صاحبه حتى تتحقق فيه الشروط وتنتفي الموانع.

فالشك في قدرة الله -مثلاً- كفر بالاتفاق، ولكن لو وقع فيه شخص بعينه، فلا نحكم عليه بالكفر حتى تكتمل الشروط وتنتفي الموانع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

إن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، يُبيّن هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات، لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه، فإن الإمام أحمد -مثلاً- قد باشر الجهمية الذين دعوه إلى خلق القرآن، ونفي

الصفات، وامتنحوه وسائر علماء وقته، وفتنوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم على التّجهم بالضرب والحبس والقتل والعزل عن الولايات، وقطع الأرزاق، ورد الشهادة، وترك تخليصهم من أرض العدو، بحيث كان كثير من أولي الأمر إذ ذاك من الجهمية من الولاة والقضاة وغيرهم يكفرون كل من لم يكن جهميًّا موافقًا لهم على نفي الصفات، مثل القول بخلق القرآن، ويحكمون فيه بحكمهم في الكافر،... ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره ممن ضربه وحبسه، واستغفر لهم، وحلّهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم، فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع، وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينيين من الجهمية الذين كانوا يقولون: إن القرآن مخلوق، وأن الله لا يُرى في الآخرة⁴⁰⁹. اهـ.

⁴⁰⁹ مجموع الفتاوى (487/12).

وكما أن الإنسان قد يقول قولاً أو يفعل فعلاً دل الكتاب والسنة والإجماع على أنه كفر وردة عن الإسلام، ومع هذا فلا تلازم بين قول الكفر وبين تكفير صاحبه بعينه.

فليس كل من فعل مكفراً حكم بكفره؛ إذ القول والفعل قد يكون كفراً، لكن لا يطلق على صاحبه بعينه الكفر، إلا أن تكتمل فيه شروط التكفير وتنتفي موانعه.

وذلك كحديث عهدٍ بإسلام، أو رجل بعيد ببادية من البوادي.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كلاماً نفيساً، قال فيه:

أن القول قد يكون كفراً، فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال: من قال كذا؛ فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها⁴¹⁰. اهـ.

ولهذا؛ فأهل التحقيق يفرقون بين تكفير الفعل وبين تكفير الفاعل، وكذلك الأمر في التبديع، هناك فرق بين تبديع القول أو الفعل

⁴¹⁰ مجموع الفتاوى (345/23).

وبين تبديع القائل أو الفاعل، فليس كل من فعل بدعة صار مبتدعًا.

وهذا الحذر والانتباه من أهل السنة في هذه المسائل وخصوصًا التكفير، لوقوفهم مع النصوص الشرعية، ومنها:

ما روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (أسرف رجل على نفسه، فلما حضره الموت؛ أوصى بنيه، فقال: إذا أنا مُتُّ؛ فأحرقوني، ثم اسحققوني، ثم ذروني في الريح في البحر، فوالله، لن قدر عليَّ ربي؛ ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا)، قال: (ففعِلوا ذلك به، فقال للأرض: أدي ما أخذت؛ فإذا هو قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: خشيتك يا رب)، أو قال: (مخافتك)!

فغفر له بذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذُرِّي، بل اعتقد أنه لا يُعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك،

وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك، والمتأول من أهل الاجتهاد، الحريص على متابعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- أولى بالمغفرة من مثل هذا. اهـ.

وشروط تكفير المُعَيَّن:

1- أن يكون عالماً بتحريم الفعل المُكفر.

2- أن يكون متعمداً لفعله.

3- أن يكون مختاراً.

وموانع الحكم بالكفر على المسلم المُعَيَّن:

1- الجهل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

إن تكفير المُعَيَّن وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس من جهل شيئاً من الدين يكفر. اهـ.

وقال تلميذه العلامة ابن القيم -رحمه الله-:

بعد تحرير الكلام في تكفير من هجر فريضة من فرائض الإسلام أو أنكر صفة من صفات الله تعالى أو أنكر خبراً أخبر الله به عمداً، قال: وأما جحد ذلك جهلاً أو تأويلاً يُعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به. اهـ

وقال المؤلف -رحمه الله-:

وأما ما ذكره الأعداء عني أنني أكفر بالظن وبالموالاتة أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة فهذا بهتان عظيم. اهـ

2-التأويل:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

إن المتأول الذي قصد متابعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا يُكفّر، بل ولا يُفسّق إذا اجتهد فأخطأ، وهذا مشهور عند الناس في المسائل العلمية، وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفّر المخطئين فيها، وهذا القول لا يُعرف عن أحد من الصحابة

والتابعين لهم بإحسان ولا عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع. اهـ

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-:

قال العلماء كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم إذا كان تأويله سائغاً في لسان العرب، وكان له وجه في العلم اهـ

3-الإكراه:

وقد تقدمت قصة عمار بن ياسر -رضي الله عنه-.

4-الخطأ: وقد تقدم الكلام عليه.

5-التقليد:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

أما في المسائل الأصولية فكثير من المتكلمة والفقهاء من أصحابنا وغيرهم من يوجب النظر والاستدلال على كل أحد،... وأما جمهور الأمة فعلى خلاف ذلك، فإن ما وجب علمه إنما

يجب على من يقدر على تحصيل العلم، وكثير من الناس عاجز عن العلم بهذه الدقائق، فكيف يكلف العلم بها؟! هـ.

تنبيه:

ومما ينبغي أن يتنبه له هنا: مسألة مهمة وهي تكفير المُعَيَّن التي لا يحكم فيها على شخص إلا أهل العلم، وذلك لما يترتب على هذا الحكم من إخراج المُعَيَّن من ملة الإسلام، وأنه حلال الدم والمال، وحكم عليه بالخلود في النار إن مات على ذلك، لحديث أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك)⁴¹¹.

لأن الأصل فيمن ينتسب للإسلام، بقاء كونه مسلماً حتى يتحقق من زوال الاسلام عنه وذلك بالدليل الشرعي.
وهنا ننبه إلى أمر مهم جداً، وهو التكفير بلازم المذهب.

⁴¹¹ صحيح البخاري (6045) كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله:-

لازم قول الإنسان نوعان:

أحدهما: لازم قوله الحق، فهذا مما يجب عليه أن يلتزمه، فإن لازم الحق حق، ويجوز أن يضاف إليه إذا علم من حاله أنه لا يمتنع من التزامه بعد ظهوره، وكثير مما يضيفه الناس إلى مذاهب الأئمة: من هذا الباب.

الثاني: لازم الذي ليس بحق، فهذا لا يجب التزامه، إذ أكثر ما فيه أنه قد تناقض، وقد ثبت أن التناقض واقع من كل عالم غير النبيين، ثم إن عرف من حاله: أنه يلتزمه بعد ظهوره له، فقد يضاف إليه، وإلا فلا يجوز أن يضاف إليه قول لو ظهر له فساد لم يلتزمه، لكونه قد قال ما يلزمه وهو لا يشعر بفساد ذلك القول، وهذا التفصيل في اختلاف الناس في لازم المذهب، هل هو مذهب؟ أو ليس بمذهب؟ هو أجود من إطلاق أحدهما، فما كان

من اللوازم يرضاه القائل بعد وضوحه له فهو قوله، وما لا يرضاه فليس قوله وإن كان متناقضاً⁴¹². ا.هـ

وقال العلامة ابن سعدي -رحمه الله-:

فالصواب والتحقيق الذي يدل عليه الدليل: أن لازم المذهب الذي لم يصرح به صاحبه ولم يشر إليه ولم يلتزمه ليس مذهباً، لأن القائل غير معصوم، وعلم المخلوق مهما بلغ فإنه قاصر، فبأي برهان نلزم القائل بما لم يلتزمه، ونقوله ما لم يقله⁴¹³. ا.هـ

ولهذا قال الإمام ابن الوزير اليماني -رحمه الله-:

إن التكفير بالإلزام ومآل المذهب رأي محض، لم يرد به السمع لا تواتراً ولا آحاداً، ولا إجماعاً، والفرض أن أدلة التكفير والتفسيق لا تكون إلا سمعية، فانهدت القاعدة، وبقي التكفير به على غير أساس⁴¹⁴. ا.هـ

⁴¹² مجموع الفتاوى (42-41/29).

⁴¹³ انظر: توضيح الكافية الشافية.

⁴¹⁴ العواصم والقواصم (368/4).

قال -رحمه الله:-

وَكُلُّهَا مِنْ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَمَنْ أَكْثَرَ مَا يَكُونُ وَقوعًا،
فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا وَيَخَافُ مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ.

فَقَوْلُهُ: (وَكُلُّهَا) أَي: هَذِهِ الْعَشْرَةُ النِّوَاقِضُ؛ وَسَبَبُ اقْتِصَارِهِ عَلَى
هَذِهِ الْعَشْرَةِ النِّوَاقِضُ، ثَلَاثَةُ أُمُورٍ:

الأول: أَنَّهَا مِمَّا أُجْمَعُ عَلَيْهِ.

الثاني: أَنَّهَا مِنْ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ خَطَرًا.

والثالث: مَنْ أَكْثَرَ مَا يَكُونُ وَقوعًا.

وَقَوْلُهُ: (مِنْ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَمَنْ أَكْثَرَ مَا يَكُونُ وَقوعًا)

أَي: إِنَّ هَذِهِ الْعَشْرَةَ النِّوَاقِضُ لَيْسَتْ كُلُّ أَسْبَابِ الرَّدَةِ وَمَوْجِبَاتِ
الْكُفْرِ كَمَا تَقْدُمُ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَأَكْثَرَ مَا
تَكُونُ وَقوعًا، سِوَاءٍ فِي زَمَنِ الْمُؤَلِّفِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَوْ قَبْلَ زَمْنِهِ
أَوْ بَعْدَهُ.

ثم ختم المؤلف -رحمه الله- رسالته هذه، بنصيحة للمسلمين، مستشعرًا عِظم الخطر لمن وقع فيها، وعواقب ذلك؛ وهي بلا شك كلها مفاوز ومهالك، لا ينبغي لمن يخاف العاقبة أن يرتكبها، ولا يحوم حولها البتة.

فقال: (فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه)

وهذا مهم جدًا، فقد قال إبراهيم -عليه السلام-: **{واجنبني وبني أن نعبد الأصنام}**⁴¹⁵، وهو إمام الحنفاء من كسر الأصنام بيده، فكيف بمن دونه؟!

ثم قال:

(نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه)

ثم ختم هذا المتن بالإستعاذة بالله من موجبات الغضب، وأليم العقاب، ولاشك أن غضب الخالق غير غضب المخلوق، والله

⁴¹⁵ سورة إبراهيم الآية <35>.

إذا غضب فإن غضبه شديد كما أن عذابه شديد، وعقابه أليم
موجع، إذا ألحق بعباده.

وينبغي لمن وقع في شيء من هذه النواقض أن يُبادر بالتوبة،
فقد تخترمه المنية وهو مُلابس لهذا الناقض الذي أخرج من ملة
الإسلام، قال تعالى: {ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو
كافر} ⁴¹⁶، مفهوم الآية: أنه إذا مات وقد تاب وأناب فإن الله يقبل
منه ويبدل سيئاته حسنات؛ وإذا تحققت فيه شروط التوبة فالله
أرحم بعباده من خلقه، ويقبل توبة عباده ويفرح بها، {واني لغفارٌ
لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى} ⁴¹⁷، {قل يا عبادي الذين
أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب
جميعاً} ⁴¹⁸.

والله أعلم.

⁴¹⁶ سورة البقرة الآية <217>.

⁴¹⁷ سورة طه الآية <82>.

⁴¹⁸ سورة الزمر الآية <53>.

(وصلی اللہ علی نبینا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم).